أعلام المسلمين

١٥



تأليف

الدكتور مصطفى سعيد الخن



دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين
١٥

عبد الله بن عبّاس رضي الله عنه

حَبْر الأمّة وترجمان القرآن

تأليف

الدكتور مصطفى سعيد الخن

دار القلم
دمشق

الطبعة الرابعة
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧
بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١

هذا الرجل

« نعم ترجمان القرآن ابن عباس ... ولا يلومني احد على حب ابن عباس » .

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

« ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً ، وأعظم خشية ، إن اصحاب الفقه عنده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهم من وادٍ واسع » .

عطاء بن أبي رباح

« كان ابن عباس من الاسلام بمنزل ، وكان من القرآن بمنزل ، وكان يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران ، فيفسرهما آية آية » .

الحسن البصري

« حبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كثيراً ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة ، وأمم من التابعين ، وله مفردات ليس لغيره من الصحابة ، لاتساع علمه ، وكثرة فهمه ، وكمال عقله ، وسعة فضله ، ونبل أصله ، رضي الله عنه وأرضاه » .

الامام ابن كثير

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمــد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الهداة المهديين .

وبعــد :

فأول ما قــرع سمعي عن ابن عبــاس فيما أحسب ـ وأنــا طالب علم حديث السن ـ صورته وهــو راكب خلف النبي صلى الله عليه وسلم على دابة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه ويقول : « يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قــد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا عــلى أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ثم إنني كلما أوغلت في طلب العلم ، ومرَّبي شــيء مما يتعلق بابن عباس رضي‌الله عنهما،ازدادت صورته في نفسي وضوحاًورسوخاً حتى أخذت بمجامع قلبي ، وتعمقت في نفسي ، ووددت لو أنــه أتيــح لي أن أكوِّن صورة ولو مصغرة عن هــذا الإنسان المسلم الواعي ، إذ وجــدت فيه المثال العملي للمسلم في مختلف جوانب حيــاته .

لقد أعجبت بابن عباس غلاماً حَدَثاً تهوى نفسه الإسلام ، ويخترق الإسلام شغاف قلبه وهو بَعدُ لم يبلغ العاشرة من عمره ، بينما يكون أترابه لا يعنيهم من أمر العقيدة والفكر شيء ، بل تراهم يصرفون جلَّ أوقاتهم في هذا السن على اللعب واللهو وتزجية الوقت في أعمال لا طائل تحتنها .

واعجبت بابن عباس يافعاً يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمع منه ، ويدخل عليه في حياته الخاصة ، ليتخذ منه القدوة الصالحة ، والأسوة الحسنة ، فما إن يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً أو يراه يفعل شيئاً إلا وُيهرع الى القيام به وتطبيقه من غير تراخٍ ولا تمهل .

واعجبت به شاباً في مقتبل الشباب يسعى إلى أبواب أهل العلم بأدب وتواضع ليأخذ عنهم ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتحمل في سبيل ذلك وطأة الحر ، وشدة لذعة البرد من غير تململ ولا ضجر .

واعجبت به كهلاً يتصدر المجالس ويجلس بين يديه بغاة العلم وطلابه ، حتى الكبار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذون عنه العلم في شتى جوانب العلم .

واعجبت به ملجأ ومقصداً إذا ما نزلت بواحد من المسلمين مشكلة لجأ اليه ليحل له هذه المعضلة ، فيجد عنده الحلَّ الصحيح والجواب الشافي .

واعجبت به خطيباً مصقعاً ، إذا اخذ في الكلام استولى على

مجامع القلوب ، واتى بالمقصود في اجمـل بيان . فكان جـديرا بقـول حسان :

إذا قـال لم يتـرك مقالاً لقائل بملتقطات لا ترى بينها فَصْلا

كفى وشفى ما في النفوس ولـم يـدع لـذي إربـه في القول جـداً ولا هزلا

سموتَ إلى العليا بغير مشقة فنلتَ ذراها لا دَنِياً ولا وغلا

واعجبت به فارساً في ميدان القتال كما اعجبت به فارساً في ميدان المقال ، وأعجبت به سياسياً بارعاً يعرف من اين تؤكـل الكتف ، وأعجبت به مناقشاً ومحاوراً قوي الحجـة والبرهان ، يغلق على خصمه منافذ القول ، وأعجبت بـه حجة في اللغة والأدب والبيان كما أعجبت به شاعراً تجري على لسانه افانين القـول في مستوى من الحكم الحسان ، وأعجبت به عف اليد عف اللسان .

وخلاصة القـول أني ما توجهت إلى فضيلة مـن الفضائل إلا وجدتها فيه باديـة واضحة للعيان . فملك عـليَّ جـوانب نفسي وعددته المسلم الذي تكاملت فيه صفات الإيمـان . وعددته جديراً بقول القائل .

فتى مثل صفو الماء ليس بباخل عليك ولا مهدٍ مـلاماً لباخـل

ولا قائل عـوراء تؤذي جليسه ولا رافـع رأساً بعوراء قائـل

ولا مسلم مـولى لأمـر يصيبه ولا خالط حقـاً مصيباً بباطل

ولا رافع أحدوثة السوء معجباً بها بـين أيـدي المجلس المتقابل

وقول القائل :

الا هلـك الحـلو الحـلال الحلاحِل(١) ومـن عنـده حـلم وعـلم ونائـل

---

(١) الحلاحل : السيد الشجاع .

وذو خطب يوماً إذا القوم افحموا

تصيب مرادي قوله ما يحاول

بصير بعورات الكلام إذا التقى شريجان بين القوم : حق وباطل

اتي لما يأتي الكرام بسيفه وإن اسلمته جنده والقبائل

وليس بمعطاء الظلامة عن يد ولا دون اعلى سورة المجد قابل

وقد أخرج الأخ الكريم الأستاذ محمد علي دولة سلسلة سمّاها ((أعلام المسلمين)) ورغب ـ وهو يحسن الظن بي ـ أن أختار علماً من هؤلاء الأعلام ، أكتب عنه موضحاً جوانب العظمة والقدوة فيه ، ليتبين كم للإسلام من فضل على الإنسانية ، إذ أنشأ من أتباعه منارات وصُوىً في كل طريق من طرق العلم والمعرفة والأخلاق والبطولة والتضحية والإيثار والترفع عن الدنايا وغير ذلك من الفضائل ، وأن هذه الأمة الإسلامية هي خير الأمم بما حملته للعالم من خير عميم ((كنتم خير امة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف ، وتنهَو ن عن المنكر ، وتؤمنون بالله)) .

ومن غير تردد ولا طويل بحث وقع اختياري على هذه الشخصية التي ملكت عليَّ جوانب نفسي كما قلت وأعلمته بذلك ، فلم يتردد ـ جزاه الله خيراً ـ في ذلك ، وأقطعني الحديث عن هذه الشخصية الفذة ، واستحث همتي كي أباشر ذلك وأفرغ منه في زمن قريب كي يتمكن من نشره .

طفقت أتتبع أخبار ابن عباس من كل كتاب وقع تحت يدي ،

واتلقف ما اتصف به من علم وفقه من المصادر التي تعنى بإبراز ذلك حتى تجمع لديَّ الكثير الكثير من ذلك .

ثم إنني انتقلت إلى مرحلة الانتقاء وضم كل مسألة إلى قريناتها، ولقد خصصت وقتاً معيناً في الأسبوع لأقوم بإعداد هذا الكتاب عن هذا المفرد العلَم .

لكن الذي حدث أنه طرأ عليَّ ما اقصاني تمام الإقصاء عن هذا الموضوع ، ولم يترك مجالاً أن أفكر فيه بَلْهَ الكتابة والتمحيص والتدقيق والانتقاء ، إلا أنني خجلاً من الأستاذ دولة كنت في أوقات متباعدة جداً تحن نفسي إلى مراجعة شيء مما كتبت ثم الزيادة عليه بالنزر اليسير .

إلا أنني فوجئت ان كثيراً من الأوراق المتعلقة بهذا البحث قد فقدت من بين يديّ ، ولست أدري الى الآن في أي أرض تكون ، مما أسفت له الأسف الشديد، وإنّ فقدَ بنات الأفكار ربما يكون مثيلا لفقد الأولاد الأبرار .

عدت ادراجي وطفقت مرة ثانية اجمِّع ما يتعلق بابن عباس ، ثم حدث أيضاً ما صرفني عن ذلك بكليتي ، ثم تكرر هذا مراراً ، حتى هممت أن أنفض يدي من هذا الأمر .

ولما لم يبق في القوس منزع وبلغ بي الحياء من اخي ابي سليم محمد علي ما بلغ ، ازمعت أمري على ان اواصل البحث واقطع من علائقي ما استطعت واكون حلس بيتي حتى افرغ من هذا الأمر .

ويسَّر الله لي بعد ذلك ، وانتهيت من الكتاب على حالة كنت اصور في نفسي قديماً ان يكون على حــالٍ افضل وشكل اكمــل ، ولكن الأقدار ارادت أن يكون جهد المقل في مثــل هذه الظروف التي مرت .

وبدهي أنني قد استغنيت عن جملة من الاخبــار التي اطلعت عليها ودونتها رغبة في الاختصار .

على أنني قد عقدت العزم ــ إن فسح الله لي في الأجل ــ ان اضــع كتابا في ابن عباس يكون جامعاً لكل ما يتعلق بهذا المسلم العَــلَم .

* * *

لقد اردت ان يــكون هذا الكتاب محتوياً على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة قصيرة :

أما المقدمة فهي هذه التي قدمت فيها هــذا الكتاب إلى القراء ، وعرضت فيها ما علمته ، ومنه الظروف التي مــرت على وضع هذا الكتاب .

وأما الفصل الأول : فقد تناول سيرة ابن عباس : ولادتــه ــ نشأته ــ حياته مع الرسول ــ حياته مع عمر .

وأما الفصل الثاني : فقد تناول شخصيته العلمية ، وبيان تفوقه في الفقه والتفسير والحديث .

واما الفصل الثالث : فقد تناول الجانب السياسي من حيــاة ابن عباس .

واما الفصل الرابع : فقد تناول متفرقات كان من الصعب جمعها تحت إطار من هذه الأطر الآنفة الذكر .

وأما الفصل الخامس فقد تناول بعض اقواله وما قيل فيه .

واما الخاتمة فهي هذه الكلمات الصغيرة التي توضح كيف هوى هذا الكوكب ، وانطفأت هذه الشعلة التي كان يستضيء بنورها الجم الغفير من الناس ، وكيف اودع اللحد الذي هو مصير كل كائن حي .

لقد آليت على نفسي أن لا اذكر من اخباره إلا ما كان في بطون الكتب الصحيحة المعتمدة ما وجدت إلى ذلك سبيلاً .

وبعد :

فها هو ذا الكتاب بين يديك أيها القارىء ، لم أدع انني قد أتيت في طياته بالعجب العجاب وبما لم تستطعه الأوائل ، بل إنني أقول : هذا ما استطعت أن أفعله في مثل ظروفي التي أنا فيها ، فان وجدت فيه ما يسرك ويرضيك وينال منك الإعجاب كان هذا زيادة في نعم الله علي ، ومن واجبي أن اقابلها بما يمكنني الله منه من الشكر ، وإن وجدت فيها شيئاً آخر فلا عليك أن تنقدني ، وقديماً قال عمر : رحم الله من أهدى إلى عمر عيوبه . وقديما قال العماد الاصفهاني : إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر .

إني لأتقدم بالشكر إلى الأخ الزميل الصديق الأستاذ محمد علي دولة ، اشكره اولاً لانه عني بإخراج هذه السلسلة من اعلام

المسلمين، تلك السلسلة التي جاءت في وقت أحوج ما يكون الشباب والناشئة إليهـا .

إن هذه السلسلة ما جاءت إلا لتوضح المنهـاج التربوي الاسلامي الذي وضعه سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ورعاه حق رعايته ، فكان أكُلُه هؤلاء الأعلام الذين هم القمم فيما هم فيه .

لقد أقام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ذاك المـربي الأول البرهـان على أن المنهاج الحق لا بـدّ وأن ينتج النتاج الحق .

إن هؤلاء الاعلام إن هم الا الفرسان التي غرسها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بيمينه ، وسقاها بمبادىء الإسلام ، فآتت أكلها في كل حين بإذن ربها .

لقد كان كل علم من هؤلاء الأعلام ملكاً يسير على الارض ولسان حاله يقول : أنا الصورة العملية التطبيقية لمنهاج الله في الأرض .

وأشكره ثانياً إذ اختارني للمساهمة في هذا العمـل المبرور ، مع أنني من الأناس المغمورين الذين لا يشار إليهم بالبنان ولا يدور ذكرهم والإشادة بفضلهم ومواهبهم وعبقريتهم لسان .

ولا أنسى أن أشكر الأخ الصديق الزميل الأستاذ محيي الدين مستو الذي بـذل جهداً ووقتاً في سبيل الوصول بهـذا الكتاب إلى حيز التنفيذ والإخراج .

وختاماً أحمد الله العظيم على عظيم فضله ، وأسأله سبحانه أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، وأن يعفو عن زلاتنا ويستر هفواتنا ، إنه هو الرب الرحيم الجواد الكريم .

الدكتور مصطفى سعيد الخن

الفصل الأول

لمحاتٌ من سيرته وحِلْيته

اسمه وكنيته ونسبه :

اسمه : عبد الله ، ولقد كان هذا الاسم من الأسماء المعروفة المتداولة قبل الإسلام ، وهو اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاء الإسلام فحبب على التسمية به ، وجعله من خير الأسماء التي تختار للأبناء ، ففي الحديث : « إن أحب أسمائكم الى الله عزّ وجلّ عبد الله وعبد الرحمن(١) » .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي به ، فلقد سمّى ولداً له من خديجة رضي الله عنها بعبد الله ، وسمى جملة من أولاد الصحابة رضوان الله عليهم بذلك .

ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الانصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في عباءة يَهْنأ بعيراً له (٢) ، فقال : هل معك تمر ؟ فقلت نعم ، فناولته تمرات

---

(١) رواه مسلم في أول باب من كتاب الأدب ، ورواه ابن ماجه في الباب الثلاثين من كتاب الأدب .

(٢) يهنأ البعير : يطليه بالقطران .

فالقاهن في فيه فلاكهن ، ثم فغر فا الصبي فمجّه في فيه ، فجعل الصبي يتلمظه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حب الأنصار التمر ، وسماه عبد الله (١) » .

وفي الحديث أيضاً : « خرجت أسماء بنت أبي بكر حين هاجرت وهي حبلى بعبد الله بن الزبير ، فقدمت قباء فنفست بعبد الله بقباء ، ثم خرجت حين نفست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحنكه ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، فوضعه في حجره ، ثم دعا بتمرة ، قالت عائشة : فمكثنا ساعة نلتمسها قبل أن نجدها ، فمضغها ثم بصقها في فيه ، فإن أول شيء دخل بطنه لريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قالت أسماء : ثم مسحه وصلى عليه وسماه عبد الله (٢) . . » .

وكما سمّي بعبد الله أمر بالتسمية بعبد الرحمن، ففي الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « ولد لرجل منا غلام فسماه القاسم ، فقالوا : لا نكنيك بأبي القاسم ولا ننعمك عيناً ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له ، فقال : اسم ابنك عبد الرحمن (٣) » .

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأدب .

(٢) رواه مسلم في كتاب الأدب . ومعنى صلى عليه دعا له بالخير .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب. وقد ورد النهي فيالأحاديث الصحيحة عن التكني بأبي القاسم ، ورجح الإمام النووي أن النهي عن التسمية بذلك خاصاً بحياته عليه الصلاة والسلام دفعاً للالتباس .

وإنما كان هذان الاسمان وما ما ثلهما مما اضيف إلى اسم من أسماء الله من احب الاسماء إلى الله تعالى ، لما فيها من الاعتراف بالعبودية ، والتعظيم لله سبحانه بالربوبية ، ولذلك وصف الله رسوله بالعبودية لله في اشرف المواضع ، قال الله تعالى : « وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لِبَدا (١) » .

كنيته :

ابو العباس ، كني باسم أكبر اولاده وهو العباس (٢) .

نسبه :

هو عبد الله بن العباس ، بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ، ـ واسمه حكيم بن مرة ـ ابن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ـ واسمه قريش ـ بن مالك ، بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان . ثم يرتقي نسبة الى أن يصل الى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام .

فانت ترى من هذا النسب انه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم الأدنى ، حيث يلتقي نسبه بنسب الرسول في جده الأدنى عبد المطلب بن هاشم ، فهو إذاً هاشمي قرشي ، والبيت

---

(١) سورة الجن (١٩) ولبداً : جماعات بعضها فوق بعض ، تعجباً مما رأوه من عبادته ، واقتداء اصحابه به ، وإعجابا بما تلاه من القرآن .

(٢) سير النبلاء : ٢٢٥/٣ .

الهاشمي هو خير بيوتات قريش ، واشرفها نسباً وحسباً . ففي الحديث عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم (١) » .

هذا ولقد كان من المعروف عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه كان إذا انتسب يذكر نسبه متسلسلاً الى عدنان ويقف عنده ولا يتعداه . قال ابن دحية : أجمع العلماء ـ والاجماع حجة ـ على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه(٢) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان ، ثم يمسك ويقول : كذب النسابون مرتين او ثلاثاً (٣) .

هذا ولا بد من الاشارة هنا إلى أن عناية المسلمين بالأنساب راجع الى أنه إذا انضم الى النسب النقي الإيمان والعمل الصالح فقد بلغ الانسان الغاية والشرف من جميع الأطراف ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا (٤) » ولقد حرص الاسلام على الإصهار الى البيوت الشريفة والأصول الطاهرة ، كي

---

(١) رواه مسلم في صحيحه .
(٢) الأنوار المحمدية للنبهاني : ١٧
(٣) السيرة الحلبية ١/٢٨
(٤) رواه البخاري عن أبي هريرة .

تنتقل الى الفروع صفاتهم وأخلاقهم ومزاياهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تزوجوا في الحجز الصالح فإن العرق دسَّاس(١) » وهذا ما أيده العلم الحديث في الدراسات النفسية .

أبوه :

هو العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يكنى بأبي الفضل ، ولد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، كان إليه في الجاهلية السقاية ، وأقره عليها الإسلام ، حضر بيعة العقبة مع الأنصار قبل أن يسلم ، حضرها ليستوثق لابن أخيه من الأنصار ، وشهد بدراً في صفوف المشركين ــ وكان قد خرج إليها مكرها ــ فأسر فافتدى نفسه(٢) ، ورجع الى مكة فيقال انه أسلم وكتم إسلامه (٣) عن قومه بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصار يكتب الى النبي عليه الصلاة والسلام بالأخبار، ثم هاجر قبيل الفتح ، وتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجحفة ، ورجع معه ، وشهد الفتح .

وورد في بعض الأخبار ما يشعر أن اسلامه كان قبل غزوة بدر ، فقد أخرج ابن إسحق عن عكرمة قال : قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعباس بن

---

(١) رواه ابن عدي عن أنس ، والحجز : الأصل والمنبت .

(٢) انظر الى عدل الاسلام فانه لم يفرق بين عم الرسول وغيره حينما كان كل منهما مشركاً ، فإنه لا قرابة مع غير الايمان انظر سيرة ابن هشام ١/١٧٨

(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/٦٤٦ .

عبد المطلب ، وكـان الإسلام قـد دخلنـا أهـل البيت ، فأسلم العباس ، وأسلمتْ أم الفضل وأسلمتُ ، وكـان العباس يهـاب قومه ويكره خلافهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه(١) ، والمعروف أن أبا رافع أسلم قبل بدر .

وثبت العباس مع الرسول عليه الصلاة والسلام يوم حنين ، قال في حقه النبي صلى الله عليه وسلم : « من آذى العباس فقـد آذاني ، فإنما عم الرسول صِنْو أبيه(٢) .

كان الرسول عليه الصـلاة والسلام يجلّه ويعظمه ، ينزلـه منزلة الوالد من الولد ، ويقول : « هذا بقية آبائي » .

وكان العباس ذا رأي وعقل تام وافٍ ، وكان سمحاً جـواداً ، روى سعيد بن المسيب عـن سـعد بن أبي وقاص قـال : قال رسول‌الله صلى‌الله عليه وسلم للعباس: « هذا العباس بن عبدالمطلب أجود قريش كفاً وأوصلها (٣) » .

وقـد كان الصحابة رضـوان الله عليهـم يعترفون بفضلـه ويشاورونه ويأخذون برأيه ، وقد كان عمر بن الخطاب يستسقي بـه إذا قحط الناس . ثبت في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنـه ، أن عمر خرج يستسقي وخـرج بالعباس معـه يستسقي

---

(١) انظر حياة الصحابة ٣٨٧/٤

(٢) رواه الترمذي . والصنو : المثل .

(٣) رواه الإمام أحمد .

به ، وقال : « اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال : فيُسقَون[1] » .

توفي في المدينة المنورة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب وقيل من رمضان سنة أثنتين وثلاثين للهجرة ودفن بالبقيع[2] .

أمه :

هي أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية ، أخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم وشقيقتها ، اسلمت قبل الهجرة فيما قيل ، وقيل بعدها ، وقال ابن سعد : أم الفضل أول امرأة آمنت بعد خديجة .

ومما يؤيد أنها قد أسلمت قبل الهجرة ما ذكره ابن عباس نفسه فقال : « كنت أنا وأمي من المستضعفين » . والمستضعفون هم الذين عذرهم الله من وجوب الهجرة عليهم والفرار بدينهم من دار الكفر .

وقد شهدت أم الفضل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ، وهي التي بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الحجة في اليوم التاسع من ذي الحجة بقدح فيه لبن ، فشربه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام الناس ليبين لهم

---

(١) البخاري : ١٦/٢ .

(٢) انظر في ترجمة العباس أسد الغابة لابن الاثير ١٦١/٧ والاصابة لابن حجر ٣٠/٤ .

أنــه غير صائم ، وقد كانــوا قــد تمارَوا في ذلك ، وقد استفاد بعض العلماء من ذلك كراهية صيام هذا اليوم لمن هو بعرفة تأسياً واقتــداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لو كان صيامــه فضيلة لكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالمسارعة اليهــا (١) .

ولأم الفضل أختان أخريان من أمهــا ، وهما : سلمى وقــد تزوجها حمزة بن عبــد المطلب ، عم الرسول وسيد الشهــداء ، وأسماء وقــد تزوج بها جعفر بن أبي طالب شهيد مؤتة ، ثم تزوج بهــا أبو بكر رضي الله عنه ، ثم تزوج بهــا بعده علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهــي أسمــاء بنت عميس الخثعميــة . وهــؤلاء الاخوات الأربــع كلهن قــد أسلمن ، وتزوج بهن خيار الناس ، أولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى كُريب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليــه وسلم : « الأخوات الأربــع مؤمنــات : أم الفضل ، وميمونة ، وأسماء ، وسلمى (٢) .

ولها أخت من أبيها هي لبابة الصغرى ، وهي أم خالد بن الوليد رضي الله عنهــا ، وقد اختلف في إسلامها ، والصحيح أنهــا قــد أسلمت ، وعاشت الى ما بعــد وفاة ابنها خالد بن الوليد رضي الله عنه (٣) ، فخالد إذاً هو ابن خالة ابن عباس وابن اخت ميمونة رضي الله عنهم جميعاً (٤) .

---

(١) انظر السيرة الحلبية ٢/٣٦٧ .
(٢) انظر الاصابة : ٨/٢٦٦ فما بعدها .
(٣) انظر الاصابة : ٨/١٧٨ فما بعدها .
(٤) انظر البخاري ٦/٢٠٠ .

فأنت ترى ان امــه أم الفضل من بيت شريف ، قــد اصهر الى اشراف قريش في الجاهلية والإسلام ، فأنجب سادة قــادة ، كانوا من أعظــم الرجالات التي يعتز بهــا الإسلام .

ولادتــه :

اختلفت الروايات في السنة التي ولد فيهــا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فقــد جاءت روايــة عن عمرو بن دينــار قــال : ولد ابن عباس عــام الهجرة ، وهــذا يقتضي أن عمره حينما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، وهذا مروي عــن شعبة وهشام وأبي عوانــة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : « توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنــا ابن عشر سنين مختون ــ زاد هشام ــ وقد جمعت المحكم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : وما المحكم ؟ قال : المفصَّل »(١) .

وهناك روايــة أخرى تذكــر أنه ولــد قبــل الهجرة بثــلاث سنوات ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بالشِّعْب شعب أبي طالب ، من قبل قريش(٢) .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثــير ٢٩٥/٨ ــ ٢٩٦ وانظر ســير النبلاء ٢٢٤/٣ .

(٢) شعب ابي طالب مكان خارج مكة ، وقد اجتمعت كلمــة قريش على منابذة بني هاشم وبني المطلب وإخراجهم اليه والتضييق عليهم بمنع حضور الأسواق ، وأن لايناكحوهم وان لا يقبلوا لهــم صلحاً أبــداً ، ولا تأخذهم بهم رأفــة حتى يسلموا رســول الله صلى الله عليه وسلم للقتل . انظر السيرة الحلبية ٤٤٩/١

قال مسلم بن خالد الزنجي المكي : عن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : « لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشّعب ، جاء أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا محمد ، أرى أم الفضل قد اشتملت على حمل ، فقال : لعلّ الله أن يقرّ أعينكم ، قال ، فلما ولدتني أتي بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا في خرقة ، فحنكني بريقه » . قال مجاهد : فلا نعلم أحداً حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه غيره .

وفي رواية اخرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعلّ الله أن يبيض وجوهنا بغلام ، فولدت عبد الله بن عباس » . هذا ولقد حقق الله رجاء رسوله في ابن عباس ، فخرج رجلاً تبيض به الوجوه ، وترتفع به الرؤوس ، ويُفاخر به في المحافل .

ولعلّ هذا القول هو أرجح الأقوال عند العلماء ، حتى إن الواقدي قد ادّعى عليه الإجماع عند أهل العلم .

روى الواقدي من طريق شعبة عن ابن عباس أنه قال : ولدت قبل الهجرة بثلاث سنين ونحن بالشّعب ، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاث عشرة سنة .

ثم قال الواقدي : وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل العلم(١) . وقال الواقدي أيضا : لا خلاف أنه ولد في الشّعب وبنو هاشم محصورون ، فولد قبل خروجهم منه بيسير ، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين ، ثم قال وهذا أثبت مما نقله أبو بشر (٢) .

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٨/٢٩٥

(٢) انظر الانوار المحمدية للنبهاني ٥٧٦

واحتج الواقدي على قوله بأن ابن عباس كان قد ناهز الحلم عام حجة الوداع ، وحجة الوداع كانت في السنة العاشرة ، ولم يلبث بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قليلاً ثم توفي . قيل عاش بعدها واحداً وثمانين يوماً (١) .

ويؤيد ما قاله الواقدي قول الزبير بن بكار : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولابن عباس ثلاث عشرة سنة(٢) .

هذا وقد روى أبو داوود الطيالسي عن شعبة ، عن أبي إسحق، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن خمس عشرة سنة مختون (٣) . وهذا يقتضي انه قد ولد قبل الهجرة بخمس سنين ، وايد هذا القول ابن كثير ، وقال : وهذا هو الأصح ، ويؤيده ما ثبت في الصحيحين ، ورواه مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس قال : « أقبلت راكباً على حمار أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بمنى الى غير جدار ، فمررت بين يدي بعض الصف ، وأرسلت الأتان ترتع ، ودخلت الصف فلم ينكر ذلك عليّ (٤) احد ، ومناهزة الاحتلام مقاربة البلوغ ومداناته ، وعندي انه لا حجة له في هذا الحديث ، لأن مقاربة الاحتلام لا تدل

---

(١) انظر سير النبلاء ٣/٢٢٦ .
(٢) انظر سير النبلاء ٣/٢٢٦ .
(٣) انظر سير النبلاء ٣/٢٢٦ .
(٤) هذا لفظ البخاري : ١/٢٧ . انظر البداية والنهاية لابن كثير ٨/٢٩٦ .

على مقاربة الخمس عشرة ، لأن الانسان قد يناهز الاحتلام وهو في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، سيما في البلاد الحارة كالحجاز، فإن البلوغ يكون في سن مبكرة ، ومثل هذا ايضا يقال في حديث البخاري عن سعيد بن جبير : سئل ابن عباس مثل من أنت حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أنا يومئذ مختون ، وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك(١) . فلعل ما ذهب اليه الواقدي من أنه ولد قبل الهجرة بثلاث سنين وكانت سنه عند وفاة الرسول ثلاث عشرة سنة هو الأصح .

هل ابن عباس أصغر إخوته :

قال ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمة ابن عباس : « وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين ، وهو والد الخلفاء العباسيين ، وهو أخو إخوة عشرة ذكور من أم الفضل للعباس ، وهو آخرهم مولداً(٢) ثم ذكر بعد ذلك أن آخر أولاد العباس هو تمام وأنشد في ذلك شعراً . قال وقد كان بنو العباس عشرة ، وهم : الفضل ، وعبد الله ، وعبيدالله، ومعبد ، وقثم ، وعبد الرحمن ، وكثير ، والحارث ، وعون ، وتمام ، وكان أصغرهم تمام ، ولهذا كان يحمله ويقول :

تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فاجعلهم كراماً بررة
واجعلهم ذكراً وانم الثمرة(٣)

---

(١) البخاري : ١٤٤/٧ .
(٢) انظر البداية والنهاية ٢٩٥/٨ .
(٣) البداية والنهاية : ٣٠٦/٨ .

وهذا يدل على ان عبد الله بن عباس لم يكن بأصغر إخوته ، بل إن كثيراً منهم أصغر منه ، ولقد جاء في ترجمة اخيه عبيد الله أنه أصغر منه بسنة(١) . وقال ابو عمر : لكل ولد العباس رؤية والصحبة للفضل وعبد الله(٢) . وهذا يقضي أنه لم يكن احد أكبر من عبد الله من أولاد العباس الا الفضل الذي كان يكنى به أبوه وأمه(٣) .

هذا وما ذكره ابن كثير أن أولاد العباس العشرة كلهم من أم الفضل لبابة ليس بصحيح ، فلقد ورد في ترجمة تمام أن أمه أم ولد(٤) . وفي ترجمة كثير أن أمه رومية(٥) .

قال في سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب : « العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وبنوه يقال لهم العباسيون ، وهم بطن من بني عبد المطلب ، وكان له رضي الله عنه من الولد تسعة أولاد، وهم : الفضل وبه كان يكنى، وعبد الله حبر الأمة، وعبيدالله، وقثم ، وعبدالرحمن، ومعبد ، وتمام ، وكثير ، والحارث، والستة الأولون أمهم لبابة بنت الحارث من بني هلال بن عامر بن صعصعة، ويقال

---

(١) انظر الاصابة : ١٩٨/٤ .
(٢) انظر الاصابة : ٥١/٢ .
(٣) انظر الاصابة : ٢١٢/٥ .
(٤) انظر الاصابة : ١٩٤/١ .
(٥) انظر الاصابة : ٣١٧/٦ .

ما رؤي قبور اخوته اشد تباعداً من اربعة من بنيه : عبد الله بالطائف، وعبيدالله بالمدينة، وقثم بسمرقند، ومعبدبأفريقية(١)».

وعن الكلبي قال: ابعد قبور اخوة على الارض قبور أولاد أم الفضل الهلالية أم ولد العباس بن عبد المطلب : واحد بالمدينة ، وآخر بالطائف ، وآخر بالشام مات في طاعون عمواس في سلطان عمر رضي الله عنه ، وعبد الله بن العباس الحبر دفن بالطائف وصلى عليه محمد بن علي ، وآخر بأفريقية ، وآخر بسمرقند ، والفضل ابن العباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في طاعون عمواس بالشام ، وعبيد الله بن عباس الجواد مات بالمدينة ، وقثم ابن العباس شبيه النبي صلى الله عليه وسلم مات بسمرقند زمن معاوية في إمارة سعيد بن عثمان ، وعبد الرحمن بن العباس قتل بأفريقية زمن عمر رضي الله عنه(٢) .

هذا ولقد كانت أمه منذ صغره تتوسم فيه ملامح السيادة ، وعلائم التفوق والنبوغ ، وكانت تقول وهي ترقّصه :

ثكلت نفسي وثكلتُ بكري   إن لم يسدْ فِهراً وغير فِهر
بالحسب العدّ وبذل الوفر   حتى يوارى في ضريح القبر(٣)

---

(١) سبائك الذهب لمحمد أمين البغدادي السويدي : ٧١ . وانظر في شأن تباعد قبور الاخوة النوادر للقالي ١٩٩ .

(٢) النوادر لأبي علي القالي : ٣/١٩٩ .

(٣) الأمالي للقالي : ٢/١١٤ .

إسلامه :

مهما قيل في زمن اسلام العباس أبيه ، فإن الروايات تتحدث تقدم اسلام عبد الله ابنه على غزوة الفتح بزمن غير يسير .

جاء في صحيح البخاري عن ابن ابي مكيلة أن ابن العباس تلا « الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان . . »

قال : كنت أنا وأمي ممن عَذَرَ الله . وفيه عن سفيان بن عبيد الله قال سمعت ابن عباس قال . « كنت انا وأمي من المستضعفين(١) » .

وجاء في صحيح البخاري تعليقاً : كان ابن عباس رضي الله عنهما مع امه من المستضعفين ، ولم يكن مع أبيه على دين قومه ، وقال ـ أي ابن العباس ـ الاسلام يعلو ولا يعلى(٢) .

هجرته :

ومع تقدم اسلامه واسلام أمه فإنه لم يتح له أن يهاجر الا قبيل فتح مكة ، وذلك بعد ان أسلم أبوه فهاجرا معاً ، فاتفق لقياهما النبي صلى الله عليه وسلم بالجحفة ، وهو ذاهب لفتح مكة، فرجعا وشهدا معه فتح مكة(٣) ، وكان فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة ، صبيحة يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان(٤) .

---

(١) البخاري : ١٨١/٥ .
(٢) البخاري : ٩٦/٢ وانظر فتح الباري : ١٤٣/٣ .
(٣) البداية والنهاية : ٢٩٦/٨ وانظر سير النبلاء : ٢٥٥/٣ .
(٤) نور اليقين للخضري : ٢١٠ .

وعلى هذا يكون انتقال ابن عباس الى دار الهجرة سنة الفتح ، ولقد بايعه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر وهو بعد صغير لم يبلغ الحلم ، وفي هذا ما فيه من أخذ العهد على الصغار أن يلتزموا أوامر ربهم ، ويدافعوا عن عقيدتهم ، كما يؤخذ ذلك على الكبار من نساء ورجال سواء بسواء .

أخرج الطبراني عن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم : « أن النبي صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وهم صغار لم يَبْقَلوا ـ لم تنبت لحاهم ـ ولم يبلغوا(١) » .

صفته وحليته :

كان رضي الله عنه وسيماً ، جميلا ، مديد القامة ، مهيباً ، كامل العقل ، ذكي النفس ، من رجال الكمال(٢) قال أبو عبد الله ابن مندة : كان أبيض طويلا ، مشرباً صفرة ، جسيماً وسيما ، صبيح الوجه ، له وَفرة يخضب بالحناء(٣) .

وقال ابن جريج : كنا جلوساً مع عطاء في المسجد الحرام ، فتذاكرنا ابن عباس ، فقال عطاء : ما رأيت القمر ليلة اربع عشرة الا ذكرت وجه ابن عباس(٤) .

---

(١) انظر حياة الصحابة : ١/٣٧٩ .

(٢) سير النبلاء : ٣/٢٢٥ .

(٣) المصدر السابق : ٢٢٦ .

(٤) سير النبلاء : ٣/٢٢٧ .

وعن مسروق قال : كنت اذا رأيت ابن عباس قلت : أجمل الناس ، فاذا نطق قلت : افصح الناس ، فاذا تحدث قلت : أعلم الناس(١) .

ولقد كان ابن عباس رجلا طوالا بيّن الطول . وكان يقال : ان علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كان الى منكب عبد الله وكان عبد الله الى منكب العباس ، وكان العباس الى منكب عبد المطلب . ولقد كان علي بن عبد الله فارعاً في الطول .

روى المبرّد عن التوزي قال : طاف علي بن عبد الله بالبيت وهناك امرأة عجوز قديمة ، وعلي قد فرغ الناس كأنه راكب والناس مشاة ، فقالت : من هذا الذي فرع الناس ؟ فقيل : علي بن عبد الله بن العباس ، فقالت : لا إله إلا الله ، إن الناس ليرذلون ، عهدي بالعباس يطوف بهذا البيت كأنه فسطاط أبيض(٢) .

وعن ابن جريج قال : كنا جلوساً مع عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام ، فتذاكرنا ابن عباس وفضله ، وعلي بن عبد الله بن عباس في الطواف ، وخلفه ابنه محمد بن علي ، فعجبنا من تمام قامتهما وحسن وجوههما ، فقال عطاء : وأين حسنهما من حسن عبد الله بن عباس ما رأيت القمر ليلة أربع عشرة وأنا في المسجد الحرام طالعاً من جبل أبي قبيس إلا ذكرت وجه ابن عباس ، ولقد رأيتنا جلوساً معه في الحِجْر إذ أتاه شيخ قديم بدوي من هذيل يهدج على عصاه ، فسأله عن مسألة فأجابه،

---

(١) سير النبلاء : ٣/٣٣٦ .
(٢) الكامل للمبرد : ٢/٢٩ .

فقال الشيخ لبعض من في المجلس : من هذا الفتى ؟ فقالوا : هذا عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، فقال الشيخ : سبحان الذي مسح حسن عبد المطلب الى ما أرى . فقال عطاء : سمعت ابن عباس يقول : سمعت أبي يقول : كان عبد المطلب أطول الناس قامة وأحسن الناس وجهاً ، ما رآه قط شيء إلا أحبه(١) .

وعن أبي اسحق : رايت ابن عباس رجلا جسيماً قد شاب مقدم رأسه وله جُمة . قال أبو عوانة عن أبي حمزة : كان ابن عباس إذا قعد أخذ مقعد رجلين(٢) .

لباسه :

كان ابن عباس يحب أن يظهر أثر نعمة الله عليه ، فكان يتأنق في مظهره وملبسه ، إلا أنه كان لا يتجاوز في ذلك الحد المشروع . ولقد قال الله تعالى : « قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة» فلقد كان ابن عباس يلبس الثياب ذات الأثمان العالية، ويتطيب ويحسن من مظهره ما قدر .

عن أبي الجويرية قال : رايت إزار ابن عباس الى نصف ساقه أو فوق ذلك ، وعليه قطيفة رومية وهو يصلي .

وعن كريب قال : رايت ابن عباس يقيم بعمامة سوداء ، فيرخي شبراً بين كتفيه ومن بين يديه .

وعن عثمان بن أبي سليمان : أن ابن عباس كان يتخذ الرداء بألف درهم .

---

(١) أخبار مكة المشرفة للأزرقي : ٢٣١/١ .
(٢) الاصابة : ٩١/٤ .

وعن عكرمة : كان ابن عباس يلبس الخز ويكره الصمت(١).

وعن عكرمة قال : كان ابن عباس إذا مرّ في الطريق قالت النساء على الحيطان : امرّ المسك أم مر ابن عباس(٢) .

عيشه في بيته :

عن الضحاك قال : ما رايت بيتاً اكثر خبزاً ولحماً من بيت ابن عباس(٣) .

أولاده :

كان له رضي الله عنه جملة اولاد اكبرهم العباس وبه يكنى ، وعلي أبو الخلفاء وهو أصغرهم ، والفضل ، ومحمد ، وعبيد الله ، ولبابة ، وأسماء(٤) .

عبادته وورعه :

لقد عاش ابن عباس حياته الأولى في كنف رسول الله صلى الله عليه وسلم واطلع على عبادته وخشيته من الله تعالى ، فكان يتلقى دروساً عملية في عبادة الله والاخلاص له ، ثم صحب من بعده الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين التقي المتعبد الورع ، فلا عجب بعد ذلك أن ينشأ محباً لعبادة الله مقبلا عليها ، خائفاً منه سبحانه، تاركاً للشبهات ، وقّافاً عند حدود الله . ولقد وصف كثير ممن

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٢٣٨/٣ . والصمت هو الثوب الذي جميعه إبريسم لا يخالطه قطن ولا غيره .

(٢) المصدر السابق : ٢٢٧/٣ .

(٣) المصدر السابق : ٢٣٥/٣ .

(٤) سير النبلاء : ٢٢٥/٣ .

عايشه واتصل به عبادته وورعه وخشيته من الله سبحانه ، وإليك بعض ذلك .

عن عبد الله بن ابي مليكة قال : صحبت ابن عباس من مكة الى المدينة ، فكان يصلي ركعتين فإذا نزل قـام شطر الليل ، ويرتل القرآن حرفاً حرفاً ، ويكثر في ذلك من التسبيح والنحيب(١) .

وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : قال ابن عباس : ماندمت على شيء فاتني في شبابي إلا أني لم أحج ماشياً ، ولقد حج الحسن ابن علي خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وإن النجائب لتقادُ معه ، ولقد قاسم الله ماله ثلاث مرات حتى إنه يعطي الخف ويمسك النعل(٢) .

وفي البخاري:أن ابن عباس كان يبعث رجلا إذا قيل طلع صلى ركعتين(٣) .

وعن سماك : أن ابن عبـاس سقط على عينيه المـاء فذهب بصره ، فأتاه هؤلاء الذين ينقبون العيون ويسيلون الماء ، فقالوا : خلّ بيننا وبين عينيك ، نسيل ماءهما ، ولكنك تمكث خمسة أيام لاتصلي (يعني قائماً) قال : لا والله ولا ركعة واحدة ، إني حدثت انه من ترك صلاة واحـدة متعمداً لقي الله عزّ وجلّ وهـو عليه غضبان(٤) . كأنه رضي الله عنه من ورعه كان يعتقد أن عدم القيام بركن من أركان الصلاة على هيئته الأصلية إخلال بالصلاة كلها ، ولا يرى أن

---

(١) سير اعلام النبلاء : ٣٣٦/٣ . وصفة الصفوة : ٧٥٥/١.
(٢) سير اعلام النبلاء : ١٧٣/٣ .
(٣) البخاري : ١٥٢/٣ .
(٤) صفة الصفوة : ٧٥٦/١ . وحياة الصحابة :٥٤١/٣ .

مداواة عينيه سبب يبيح له أن يفعل ذلك ، وهـذا منه مبالغـة في الورع .

ولقد ذكر خليل بن ايبك الصفدي راي الفقهاء في أعمى قيل له اترك الصلاة أياماً فإنك تبصر ، فهل يجوز له ترك الصلاة قال :

إذا قيل لأعمى : اترك الصلاة اياماً فإنك تبصر مع العلاج ، او قيل له : صلِّ مستلقياً إذا كان قادراً على القيام ، وقال له ذلك طبيب موثوق بدينه وبعلمه جاز له الاضطجاع والاستلقـاء علـى الأصح ، ولـو قال له : إن صليت قاعداً أمكنت مداواتك قـال إمام الحرمين : يجوز له القعود قطعاً ، ومفهوم كلام غيره أنه على وجهين(١) .

ولقد بلغ من تقواه وورعه رضي الله عنه ، أنه كان لا يحيد عما امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لم يكن ذلك من الأمور الواجبات ، وانما هو من قبل المستحسنات .

أخرج أحمد عن بكر بن عبد الله أن أعرابياً قال لابن عباس رضي الله عنهما : ما شأن آل معاوية يسقون الماء والعسل ، وآل فلان يسقون اللبن ، وأنتم تسقون النبيذ ؟ أمن بخل بكم أم حاجة؟ فقال ابن عباس : مابنا بخل ولا حاجة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءنا ورديفه اسامة بن زيد رضـي الله عنهمـا ، فاستسقى فسقيناه من هذا ، ـ يعني نبيذ السقاية ـ فشرب منه وقال : « أحسنتم هكذا فاصنعوا » .

---

(١) نكت الهميان في نكت العميان : ٥٧ـ٥٨ .

وعن جعفر بن تمام قال : جاء رجل الى أبن عباس رضي الله عنهما فقال : ارايت ما تسقون الناس من نبيذ هذا الزبيب ؟ أسنة تتبعونها أم تجدون هذا اهون عليكم من اللبن والعسل ؟ فقال ابن عباس : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى العباس وهو يسقي الناس فقال : اسقني ، فدعا العباس بعساس من نبيذ ، فتناول النبي صلى الله عليه وسلم عساً فيها ، فشرب ثم قال : « أحسنتم هكذا اصنعوا » قال ابن عباس : فما يسرني أن سقايتها جرت علي لبنا وعسلا مكان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « احسنتم هكذا افعلوا(١) » .

وأخرج الحاكم عن المسيب بن رافع قال : لما كف بصر ابن عباس رضي الله عنهما أتاه رجل فقال له: إنك إن صبرت لي سبعاً لم تصل إلا مستلقياً تومىء إيماء داويتك فبرئت إن شاء الله تعالى ، فأرسل الى عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما وغيرهما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، كلٌ يقول : أرأيت إن مت في هذا السبع كيف تصنع بالصلاة ، فترك عينيه ولم يداوهما(٢) .

وعن سعيد بن أبي سعيد قال : كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس كيف صومك ؟ قال : أصوم الاثنين

---

(١) حياة الصحابة : ٦٥٣/٢ ــ ٦٥٤ . النبيذ هنا : هو الماء الذي يطرح فيه شيء من التمر أو الزبيب ليكتسب حلاوة إلا انه لا يصل الى درجة الاسكار ، فان وصل الى درجة الاسكار كان شربه حراماً سواء أكان قليلا أم كثيراً .

العساس : جمع عس وهو القدح الكبير .

(٢) حياة الصحابة : ٥٤١/٣ .

والخميس ، قال : ولم ؟ قال : لأن الأعمال ترفع فيهما ، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم(١) .

ولقد كان ابن عباس تأخذه في عبادته خشية من الله ورقة فتندفع عيناه بالبكاء ، ولقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، وهكذا كان ابن عباس رضي الله عنه .

عن عبد الله بن أبي مليكة قال : صحبت ابن عباس رضي الله عنهما من مكة الى المدينة ، فكان إذا نزل قام شطر الليل . قال : فسأله أيوب : كيف كانت قراءته ؟ قال : قرأ (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فجعل يرتل ويكثر في ذاكم النشيج .

وعن أبي رجاء رضي الله عنه قال : كان هذا الموضع من ابن عباس (مجرى الدموع) كأنه الشراك البالي(٢) .

إن العبادة في نظر ابن عباس لم تكن صلاة وصياماً وحجاً وزكاة فحسب ، بل العبادة في نظره هو العمل الذي يكون الانسان فيه أقرب الى خالقه ، فقد تكون عيادة مريض ، أو سعياً في حاجة مسلم ، أو كلمة طيبة يهديها لمسلم ، ولعل عبادة من هذا النوع قد تفوق في بعض الظروف والملابسات عبادة الصلاة النافلة وما يماثلها من العبادات الأخرى ، فالمسلم اليقظ الواعي يتلمس الطريق التي يكون فيها أقرب ما يكون الى خالقه ، وإن كان فيها مشقة على نفسه أو حرمان من بعض ملذاته ومتعه .

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٣٣٦/٣ .
(٢) الحلية لأبي نعيم : ٣٢٧/١ـ٣٢٩ . والشراك : سير النعل .

أخرج الطبراني والبيهقي(واللفظ له) والحاكم مختصراً وقال: صحيح الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يافلان أراك مكتئباً حزيناً ، قال : نعم يا ابن عم رسول الله ، لفلان عليَّ حق ولاء . وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه . قال ابن عباس : افلا اكلمه فيك ؟ فقال : إن أحببت ، قال : فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ، ولكني سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم ، والعهد به قريب (فدمعت عيناه) وهو يقول : من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعد مما بين الخافقين(١) .

جهاده :

إن شخصية المسلم شخصية متكاملة ، لا يشغلها شأن عن شأن ، ولا يقعدها أمر عن أمر ، فهي عالمة في حقل العلم ، ومجاهدة في ميدان الجهاد ، وعاملة في ساحة العمل ، فهي ايجابية في مختلف الميادين والصُعُد ، حتى إن الصغار من المسلمين كانت تتفتح فيهم منذ نعومة أظفارهم الرغبة في الجهاد والتضحية في سبيل الله ، حتى إن بعضهم ليتألم عندما يحول الرسول بينه وبين الجهاد نظراً

---

(١) حياة الصحابة : ٧٥٣/٢ والترغيب والترهيب : ٢٧٢/٢.
بلغ فيها : قضاها . الخافقين : هما طرفا السماء والارض وقيل : المغرب والمشرق .

لحداثة سنه ، ويأخذ بالبكاء حتى يرق لـه قلب النبي صلى الله عليه وسلم ، هكذا كانت التربية في المدرسة الإسلامية المحمدية ، وابن عباس الذي نشأ في هذه المدرسة وترعرع فيها لم يكن يقعد عن الجهاد والقتال في سبيل الله مع كثرة اشتغاله في حقل العلم والتعليم، فلقد حضر رضي الله عنه مشاهد قتالية كثيرة، وناله بذلك الخير والأجر العظيم . فبالاضافة الى المشاهد التي شهدها مع الرسول عيله الصلاة والسلام بدءاً من فتح مكة قد شارك في غزو افريقية والقسطنطينية :

عن أبي سعيد بن يونس قال : غـزا ابن عبـاس افريقيـة مع ابن أبي سرح ، وروى عنه من اهل مصر خمسة عشر نفساً . وكانت هذه الغزوة سنة سبع وعشرين(١) .

وفي عهد معاوية غزا يزيد ابنه القسطنطينية ، وكان في جيشه جماعات من سادات الصحابة منهم : ابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابو ايوب الأنصاري ، وقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » فكان هذا الجيش أول من غزاها ، وما وصلوا إليها إلا بعد أن بلغ منهم الجهد(٢) .

كرمـه :

عن حبيب بن أبي ثابت ان أبا أيوب اتى معاوية رضـي الله عنهما، فشكا إليه أن عليه ديناً، فلم ير منه ما يحب وراى ما يكره. فقال : سمعت رسـول الله صلى الله عليـه وسلـم يقـول : « إنكم

---

(١) سير اعلام النبلاء : ٣/٢٢٦ . والاصابة : ٤/٩٠ .
(٢) البداية والنهاية : ٨/٣٢ .

سترون بعدي أثرة » . قال : فأي شيء قال‌لكم ؟ قال : اصبروا». قال : فاصبروا ، فقال : والله لا أسألك شيئاً ابداً . فقدم البصرة فنزل على ابن عباس رضي الله عنهما ، ففرغ لـه بيتـه وقال : لأصنعن بك كما صنعت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر أهله فخرجوا وقال : لك ما في البيت كله ، واعطاه اربعين الفاً وعشرين مملوكاً .

وفي الطبراني : فأتى عبد الله بن عباس رضـي الله عنهمـا بالبصرة ، وقد أمره عليها علي رضي الله عنه . فقال : يا أبا أيوب، إني أريد أن أخرج لك عن مسكني كما خرجت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر أهله فخرجوا ، وأعطاه كل شيء اغلق عليه الدار، فلما كان انطلاقه قال : حاجتك قال : حاجتي عطائي وثمانية أعبد يعملون في أرضي ، وكان عطاؤه اربعة آلاف ، فأضعفها له خمس مرات فأعطاه عشرين الفاً وأربعين عبداً(١) .

واخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما : جاءه سائل فقال له ابن عباس : اتشهد ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله؟ قال : نعم ، قال : وتصوم رمضان ؟ قال : نعم ، قـال : سألت وللسائل حق ، إنه لحق علينا أن نصلك ، فأعطاه ثوباً ثم قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلـم كسا مسلماً ثوباً إلا كان في حفظ الله مادام عليه منه خرقة(٢) » .

---

(١) حياة الصحابة : ٦٠١/١ ــ ٦٠٢ وانظر سير النبـلاء : ٢٣٦/٣ والبداية والنهاية : ٨/٨ .
(٢) حياة الصحابة : ٤٠٢/٢ ــ ٤٠٣ .

صبره :

لقد فقد ابن عباس رضي الله عنه في أخريات عمره بصره ، وأصبح لايبصر ما لديه ، ولقد يكون وقع فقد البصر امراً عظيماً لا يطيقه الانسان ، إلا ان ابن عباس بما أفاض الله من نعمة الايمان والصبر استطاع ان يحوّل ما هو مصيبة الى ما هو نعمة، فما نزل به من فقدان عينيه إن هو إلا نعمة أنعم الله بها عليه، إذ إنه قد عوّض عليه بما هو أسمى من نور البصر ، ولنستمع اليه وهو يتحدث عن ذلك :

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما
ففي لساني وقلبي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دَخَل
وفي فمي صارم كالسيف مأثور(١)

وانشد الجاحظ البيت الأول على النحو التالي :

إن يأخذ الله من عينيّ نورهما
ففي لساني وسمعي منهما نور(٢)

---

(١)سير النبلاء : ٣/٢٤٠ .
(٢) انظر نكت الهميان : ٧١ .

في صحبة النبي عليه الصلاة والسلام

لم تطل صحبة ابن عباس للرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن هاجر إذ لم يصحبه إلا نحواً من ثلاثين شهراً(١) ، ولكنه طيلة هذه المدة كان ملازماً للرسول عليه الصلاة والسلام أشد الملازمة ، يأخذ عنه ويضبط أقواله وأفعاله وأحواله، حتى استطاع أن يروي لنا الكثير عن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام(٢) ، ولم ينقطع عن ملازمة الرسول والحضور في مجالسه والاستماع الى هديه حتى صعدت روح الرسول عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الأعلى .
وإليك نماذج تصور لنا مقدار صلة ابن عباس بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وتكريم الرسول له ، وعنايته به ، ورعايته له ، حتى أصبح بحق ترجمان القرآن وحَبْر هذه الأمة .

في بيت الرسول :

كان ابن عباس يبيت عند خالته ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ويصادف أن يكون الرسول عندها في ليلتها ، فينام هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت واحد ، بل ينامان على وسادة واحدة ، فلا غرابة في أن ينقل لنا شيئاً من حياة رسول الله

---

(١) انظر سير النبلاء للذهبي : ٣/٢٢٤ .
(٢) انظر البداية والنهاية : ٨/٢٩٦ .

الداخلية مما كان لا يطلع عليه غيره من الرجال ، ولا غرابة أن يجعل من رسول الله المثل الأعلى في حياته ، وينطبع بأخلاقه وصفاته عليه الصلاة والسلام، لما يراه عن كثب من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن ابن عباس قال : بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندها في ليلتها ، فصلى العشاء ثم جاء الى منزله فصلى أربع ركعات ، ثم نام ثم قام ثم قال : نام الغُلَيِّم أو كلمة تشبهها ، ثم قام فقمت عن يساره ، فجعلني عن يمينه فصلى خمس ركعات ، ثم صلى ركعتين ، ثم نام حتى سمعت غطيطه أو خطيطه ، ثم خرج إلى الصلاة(١) .

وعن كُرَيب مولى ابن عباس أن عبد الله بن عباس أخبره أنه بات ليلة عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته، فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده ، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران، ثم قام الى شَنٍّ معلقة فتوضأ منها فأحسن الوضوء، ثم قام يصلي، قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت الى جنبه، فوضع يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني يفتلها ، فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى أتاه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ، ثم خرج فصلى الصبح(٢) .

---

(١) البخاري : ١/٣٧ .

(٢) البخاري : ١/٥٣ ــ ٥٤ والشن : القربة .

هذا والذي يظهر من هذا الحديث والذي قبله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى الصلاة بعد هذا النوم ولم يتوضأ ، وهذا الظاهر قد جاء مصرحاً به في رواية أخرى ، فقد جاء فيها : ثم اضطجع فنام حتى نفخ ثم أتاه المنادي فآذنه بالصلاة ، فقام معه الى الصلاة فصلى ولم يتوضأ(١) . والسبب في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه ، فلو كان أحدث في نومه لتوضأ . قال في الفتح عند شرح هذا الحديث : فيه دليل على أن النوم ليس حدثاً بل مظنة الحدث ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان تنام عينه ولا ينام قلبه ، فلو أحدث لعلم بذلك ، ولهذا كان ربما توضأ إذا قام من النوم وربما لم يتوضأ(٢) .

وروى أبو المتوكل أن ابن عباس حدثه : أنه بات عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل ، فخرج فنظر في السماء ثم تلا هذه الآية في آل عمران : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار . . » حتى بلغ : (فقنا عذاب النار) ثم رجع إلى البيت فتسوك وتوضأ ثم قام فصلى ، ثم اضطجع ثم قام فخرج إلى السماء فتلا هذه الآية ثم رجع فتسوك فتوضأ ثم قام فصلى(٣) .

---

(١) البخاري : ٤٤/١ .

(٢) انظر فتح الباري : ١٦٩/١ .

(٣) رواه مسلم : ١٥٢/١ .

وعـن أبي الشعثاء أن ابن عباس أخبـره : أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بفضل ميمونة(١) .

ولشدة صلته بحياة الرسول الداخلية كمـا مرّ استطاع ابن عباس أن يصف لنـا أموراً ما كـان غيره ليستطيع الاطـلاع عليهـا .

فمن ذلك وصفه لمزاح الرسول عليه الصـلاة والسلام مـع نسائه ، فقد أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً سأله فقال : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمـزح ؟ قال : نعم ، فقال الرجل : ما كان مزاحه ؟ فقال ابن عباس : كَسَـا النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه ثوباً واسعاً ، قال : البسيه واحمدي الله وجرّي من ذيلك هذا كذيل العروس(٢) .

ومن ذلك وصفه لكيفية عيش الرسـول في بيته . أخـرج الترمـذي ـ وصححه ـ عن ابن عباس رضي الله عنهمـا قـال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة وأهلـه طاوين لا يجدون عشاء ، وإنما أكثر خبزهم الشعير(٣) .

أدبه مع الرسول ودعاء الرسول له :

لقد كان ابن عباس رضي الله عنه مثـال الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، شأنه في ذلك شأن الصحابة عامـة ، ولقـد

---

(١) رواه مسلم : ١٧٧/١ وفضل ميمونة هو الماء الذي بقي في الوعاء بعد اغتسالها .

(٢) حياة الصحابة : ١٧٨/٣ .

(٣) انظر حياة الصحابة : ٤٥٤/١ . والطوى : الجوع .

جاء في وصفهم : « إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (١) .

فعن كُريب أن ابن عباس أخبره فقال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر الليل فصليت خلفه ، فأخذ بيدي فجرني حتى جعلني حذاءه ، فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاته خنست ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انصرف من صلاته قال : ما شأني أجعلك في حذائي فتخنس ؟ فقلت : يا رسول الله ، أوينبغي لأحد أن يصلي في حذائك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله عز وجل ؟ قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً (٢) .

وعن عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الخلاء ، فوضعت له وضوءاً ، فقال : من وضع هذا ؟ فأخبر فقال : اللهم فقهه في الدين(٣) ، وفي البداية والنهاية زيادة « وعلمه التأويل » .

وعن عكرمة عن ابن عباس قال : ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب(٤) » .

---

(١) الحجرات : ٣ .

(٢) رواه الامام احمد ، انظر البداية والنهاية : ٢٩٦/٨ ومعنى خنس : انقبض وتأخر .

(٣) البخاري : ٤٥/١ ورواه الإمام أحمد ، انظر البداية والنهاية : ٢٩٧/٨ وسير النبلاء : ٢٢٥/٣ .

(٤) البخاري : ٢٧/١ و ١٣٨/٨ وانظر فتح الباري عند شرحه هذا الحديث .

وعن ابن عمر : كان عمر يدعو ابن عباس ويقربه ويقول: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاك يوماً فمسح رأسك ، وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل(۱) ، وفي البداية زيادة : وتفل في فيك .

وعن طاووس عن ابن عباس قال : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح على ناصيتي ، وقال اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب(۲) .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس فقال : « اللهم بارك فيه وانشر منه(۳) » .

ولا شك أن الله استجاب لرسوله دعواته هذه ، فكان ابن عباس فقيهاً في الدين ، عالماً بمعاني كتاب الله ، راوية لأحاديث رسول الله ، كما سترى ذلك عند الكلام على علمه وفقهه إن شاء الله تعالى .

إرداف الرسول لـه ومداعبته له :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعاً شديد التواضع، ومن تواضعه عليه الصلاة والسلام انه كان لا يأنف إذا ركب أن يردف خلفه ، وكان ممن اردفه خلفه ابن عباس .

فقد أخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اردفه على دابته ، فلما استوى عليها

---

(۱) فتح الباري : ۱۳٥/۱ .
(۲) فتح الباري : ۱۳٥/۱ .
(۳) صفوة الصفوة : ۷٤۷/۱ .

كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وسبح الله ثلاثاً وهلل الله واحدة ، ثم استلقى عليه فضحك ، ثم أقبل عليه فقال : ما من امرىء يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا اقبل الله عزّ وجل فضحك إليه كما ضحكت إليك(١) » .

استقباله الرسول مقدمه من الغزو :

عن ابن أبي مليكة ، قال ابن الزبير لابن جعفر رضي الله عنهم : أتذكر إذ تلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأنت وابن عباس ؟ قال : نعم ، فحملنا وتركك(٢) .

سماح رسول الله له بحضور صلاة العيد مع صغر سنه :

العيد مشهد من مشاهد الإسلام العظيمة،ولقد كان رسول الله يرغب أن يكثر سواد المسلمين في هذا اليوم ، وأن يحتشد له من الناس من استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولهذا كان يرغب أن تكون صلاة العيد في الصحراء خارج البلد كي يستوعب هذا الحشد العظيم ، وقد كان يأمر العواتق وذوات الخدور (٣) أن يشهدنَ مشهد العيد ، حتى إن المرأة التي لم يكن لها جلباب أمرت أن تستعير جلباب أختها ، وكذلك أمر الحيّض من النساء أن يشهدنَ العيد يكبرن مع من يكبر ، ولكن يعتزلن الصلاة فلا يصلين ، ولكن كان يحبذ خروج الصبيان الى المصلى أيضاً تشجيعاً لهم وتدريباً على حضور مشاهد الاسلام .

---

(١) حياة الصحابة : ٤/٦٠ .

(٢) البخاري : ٤/٣٩ .

(٣) انظر البخاري في صلاة العيد . والعواتق جمع عاتق وهي المرأة الشابة . أول ما تدرك وذوات الخدور : البنات الابكار المستترات في البيوت .

ولقد اذن رسول الله لابن عباس بحضور هذا المشهد الرائع وها هو ذا يصف لنا شيئاً مما رآه .

فعن عبد الله بن عابس قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما سأله رجل : شهدتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد اضحى او فطرا ؟ قال : نعم ولولا مكاني منه ما شهدته ـ يعني من صغره ـ قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ثم خطب ، ولم يذكر اذاناً ولا إقامة ، ثم اتى النساء فوعظهن وذكرهن وامرهن بالصدقة ، فرايتهن يهوين إلى آذانهن وحلوقهن يدفعن الى بلال ، ثم ارتفع هو وبلال الى بيته(١) .

رؤيته جبريل في مجلس الرسول :

عن ابن عباس قال : كنت مع ابي عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل يناجيه ، قال عفان : ـ راوي الحديث ـ وهو كالمعرض عن العباس ، فخرجنا من عنده ، فقال العباس : الم ترَ ابن عمك كالمعرض عني ؟ فقلت : إنه كان عنده رجل يناجيه ، قال عفان : قال عباس : اوكان عنده احد ؟ قلت : نعم ، فرجع اليه ، فقال : يا رسول الله هل كان عندك احد آنفاً ؟ فإن عبد الله اخبرني انه كان عندك رجل يناجيك ، قال : هل رايته يا عبد الله ؟ قال قلت : نعم ، قال : ذاك جبريل عليه السلام(٢) .

وروى الدارقطني عن ابن عباس انه قال : رايت جبريل مرتين ، ودعا لي رسول الله بالحكمة مرتين .

---

(١) البخاري : ٦/١٦٢ وانظر البخاري ايضا : ٧/٥٤ .

(٢) رواه الإمام احمد ، انظر البداية والنهاية : ٨/٢٩٧ .

مبايعة الرسول له :

عن جعفر بن محمد عن ابيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، ولم يبايع صغيراً إلا منا (١) .

في مرض الرسول ووفاته :

منذ أسلم ابن عباس ظلّ ملازماً للنبي صلى الله عليه وسلم في مختلف جوانب حياته ، ولم يفارقه حتى التحق بالرفيق الأعلى ، وها هو رضي الله عنه يروي لنا بعضاً مما شاهده من حياة الرسول في مراحلها الأخيرة حتى أودع عليه الصلاة والسلام قبره المطهر .

وصفه حال الرسول عند النزع :

قال ابن عباس : لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه ، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك : لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد . يحذّر ما صنعوا(٢) » . وكأنه عليه الصلاة والسلام في هذا الموقف قد علم انه مرتحل من ذلك المرض ، فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى ، فلعن اليهود والنصارى إشارة الى ذم من يفعل فعلهم ، ويحذو حذوهم في ذلك (٣) ، « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم (٤) » .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٠٧/٨

(٢) البخاري : ١١٢/١ .

(٣) انظر فتح الباري : ٣٥٨/١ .

(٤) سورة النور : ٦٣ .

خروج الرسول في مرضه إلى الصلاة وخطبته :

عن ابن عباس قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة ، فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إنه ليس من الناس أحد أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لا تخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر(١) » وقد استثنى الرسول خوخة أبي بكر لما أنه قد أمره أن يصلي بالناس حال مرضه عليه الصلاة والسلام . وفهم بعض العلماء من هذا الحديث أن فيه إشارة إلى استخلاف أبي بكر وتوليته على المسلمين(٢) .

وعن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإن الناس يكثرون ويقلّ الأنصار حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام ، فمن ولي منكم شيئاً يضرّ به قوماً وينفع فيه آخرين ، فليقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم ، فكان آخر مجلس جلس به النبي صلى الله عليه وسلم(٣) »

---

(١) البخاري : ١/١٢٠ والخوخة باب صغير كالنافذة الكبيرة وتكون بين بيتين ينصب عليها باب . انظر النهاية لابن الأثير مادة خوخ .

(٢) انظر فتح الباري ١/٣٧٥ .

(٣) البخاري ٤/١٨٤ .

ولقد كان احد الجماعة الذين حضروا عندما طلب الرسول عند وفاته أن يكتب كتاباً لأمته يرجعون إليه بعده فلم يرد ذلك عمر .

روى ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ، قال عمر : إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا ، فاختلفوا وكثر اللغط ، قال : قوموا عني ، ولا ينبغي عندي التنازع ، فخرج ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه(١) .

ولقد عيّن ابن عباس في رواية اخرى اليوم الذي طلب فيه الرسول ان يكتب كتاباً .

وعن سعيد بن جبير قال : قال ابن عباس : يوم الخميس وما يوم الخميس ؟ اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فقال : ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : ما شأنه ؟ اهجر ؟ استفهموه ، فذهبوا يرددون عليه ، فقال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه ، وأوصاهم بثلاث قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ، وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها (٢) .

---

(١) البخاري : ٣٧/١ وانظر البخاري ١٣٧/٥ وانظر مسلم : ٧٦/٥ .

(٢) البخاري : ١٣٧/٥ .

وصفه وفاة الرسول وكيفية غسله والصلاة عليه :

لقد وصف ابن عباس آخر مرحلة من مراحل حياة الرسول عليه الصلاة والسلام على ظهر الأرض ، والتحاقه بالرفيق الأعلى . ووصف لنا أيضاً كيف صلى عليه المسلمون :

اخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثقل وعنده عائشة وحفصة إذ دخل علي رضي الله عنهم فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع رأسه ثم قال : ادنُ مني ، ادنُ مني . فأسنده إليه فلم يزل عنده حتى توفي ، فلما قضى قام عليّ وأغلق الباب ، وجاء العباس رضي الله عنه ومعه بنو عبد المطلب ، فقاموا على الباب ، فجعل علي يقول : بأبي أنت طبت حياً وطبت ميتاً ، وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها ، قال : (أي العباس) إيهاً دع خنيناً كخنين المرأة ، وأقبلوا على صاحبكم ، قال علي : أدخلوا عليّ الفضل بن العباس . فقالت الأنصار : نشدناكم بالله ونصيبنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدخلوا رجلاً يقال له أوس بن خَوَلِيّ يحمل جرة بإحدى يديه ، فسمعوا صوتا في البيت : لا تجردوا رسول الله صلى الله وسلم ، واغسلوه كما هو في قميصه ، فغسله علي يدخل يده من تحت القميص ، والفضل يمسك الثوب عنه ، والأنصاري ينقل الماء ، وعلى يد علي خرقة يدخل يده تحت القميص(١) » .

وأخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل الرجال فصلوا عليه

---

(١) حياة الصحابة : ٦٠٣/٢ وإيها : أمر بالسكوت ، والخنين : نوع من البكاء دون الانتحاب .

بغير إمام أرسالاً حتى فرغوا ، ثم أدخل النساء فصلين عليه ، ثم أدخل الصبيان فصلوا عليه ، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالاً لم يؤمهم على رسول الله أحد (١) » .

وصفه لوقع نبأ وفاة الرسول عند الصحابة :

أخرج عبد الرزاق وابن سعد وابن أبي شيبة والبخاري وابن حبان وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبابكر الصديق رضي الله عنه خرج حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر رضي الله عنه يكلم الناس ، فقال : اجلس يا عمر ، فتشهد ثم قال : أما بعد فمن كان منكم يعبد محمداً صلى الله عليه وسلم فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله تعالى حي لا يموت ، فإنَّ الله تعالى قال : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . . » الآية . قال : والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها منه الناس كلهم ، فما تسمع بشراً من الناس إلا يتلوها ، وقال عمر بن الخطاب : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض ، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات (٢) .

---

(١) حياة الصحابة : ٦٠٤/٢ والأرسال جمع رَسَل بفتح الراء والسين ، أي أفواجاً وفرقاً متقطعة .

(٢) المصدر السابق : ٦٠٧/٢ والعقر : أن تسلم الرجلَ قوائمه من الخوف .

في صحبة عمر رضي الله عنه

إن شخصية ابن عباس لم يكتب لها الظهور زمن خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعوامل كثيرة أهمها : صغر سن ابن عباس آنذاك ، وانشغال أبي بكر بقتال أهل الردّة ، وقصر مدة خلافته ، فلم تزد خلافته على سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام .

ولكن ما إن توفي الصدّيق وآلت الخلافة إلى عمر بن لخطاب رضي الله عنه حتى بدأت شخصية ابن عباس تتفتح كما لتفتح الأزهار ، لتؤتي في المستقبل أكلها بإذن ربها .

ولقد عرف ابن الخطاب مكانة هذه الشخصية الفذّة ، وقدّر مواهبها ، وأعجب بكفاءاتها وجدارتها ، فأخذ يدنيه منه ويقربه ، ويستشيره فيما يطرأ عليه من المشكلات ، فإذا به يجده أهلاً لكل ذلك ، وها نحن نسوق إليك صوراً من هذا التكريم وهذه الثقة :

تكريم عمر له ورفعه من مكانته :

كان عمر يقربه منه ويدنيه ، ويأذن له بالدخول عليه مع اشياخ بدر تقديراً له ، حتى إن بعضهم اخذ يجد في نفسه شيئاً من صنيع عمر .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال : لم تدخل

هذا معنا ، ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم ، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم، قال : ما تقولون في قول الله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح » ؟ فقال بعضهم : أمرنا نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه له قال : إذا جاء نصر الله والفتح ، وذلك علامة أجلك ، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً ، فقال عمر : ما أعلم منها إلا ما تقول (١) .

وجاء في بعض الروايات تصريح باسم القائل ، وهو الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه (٢) .

استشارته له وثناؤه عليه وسؤاله عما أشكل عليه :

وكان إلى جانب تكريمه يستشيره في الأمور ، وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بحكم شرعي ، وقد كان عمر كثير المشورة حتى إنه ليستشير الفتيان والنساء ، فلعله يجد عندهما ما يستحسنه من الراي (٣) .

فعن عطاء بن يسار رضي الله عنه : أن عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا يدعوان ابن عباس رضي الله عنهما ، فيشير مع أهل بدر ، ويفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات .

---

(١) البخاري : ٩٤/٦ و ٩٤/٥ .
(٢) انظر البخاري : ١٨٣/٤ .
(٣) انظر حياة الصحابة : ١٦٠/٢ .

وعن يعقوب بن يزيد قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستشير عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في الأمر إذا أهمه ويقول : غُص غوّاص(١) .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : ما رايت احداً احضر فهماً ، ولا ألبّ لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر بن الخطاب يدعوه للمعضلات (المشكلات) ثم يقول : قد جاءتك معضلة ، ثم لا يجاوز قوله ، وإن حوله لأهل بدر من المهاجرين والانصار(٢) .

وكان عمر إذا رأى ابن عباس مقبلاً قال : جاء فتى الكهول ، وذو اللسان السؤول ، والقلب العقول .

وكان يقول : نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس . وكان يقول له : لقد علمت علماً ما علمناه(٣) .

وروى عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس قال : دعاني عمر مع الأكابر ويقول لي : لا تتكلم حتى يتكلموا ثم يسألني ، ثم يقبل عليهم فيقول : ما منعكم أن تأتوني بمثل ما يأتيني به هذا الغلام

---

(١) حياة الصحابة : ١٥٩/٢ ومعنى غص غواص: اي انزل في هذه المعضلة ياغواص . والغواص هو الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ ونحوه ، وانظر حياة الصحابة ايضا : ٧٨٧/٣ ، وسير النبلاء : ٢٣٢/١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٢٩٩/٨ . وسير النبلاء : ٢٣١/٣ .

الذي لم تستو شؤون رأسه(١) وعن معمر عن الزهري قال : قال المهاجرون لعمر : الا تدعو أبناءنا كما تدعو ابن عباس ؟ قال : ذاكم فتى الكهول ، إن له لساناً سؤولا وقلباً عقولاً(٢) .

روى ابراهيم التيمي فقال : خلا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم ، فجعل يحدث نفسه ، فأرسل الى ابن عباس رضي الله عنهما فقال : كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة ؟ قال ابن عباس : يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما نزل ، وإنه يكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن لا يعرفون فيما نزلت ، فيكون لكل قوم فيه رأي ، فاذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا ، فاذا اختلفوا اقتتلوا ، فزبره عمر وانتهره ، وانصرف ابن عباس ، ثم دعاه فعرف الذي قال ، ثم قال إيهاً أعد(٣) .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب : قرأت الليلة آية أسهرتني « أيودّ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب . . » ما عنى ؟ فقال بعض القوم : الله أعلم ، فقال: إني أعلم أن الله أعلم ، ولكن إنما سألت إن كان عند أحد منكم علم وسمع فيها بشيء أن يخبر بما سمع ، فسكتوا

---

(١) سير النبلاء:٣/٢٣٢ .والشؤون قال احمد بن يحيى:عروق فوق القبائل فكلما أسن الرجل قويت واشتدت ا هـ لسان العرب والقبائل في الراس القطع المشعوب بعضها الى بعض ا هـ قاموس.

(٢) سير النبلاء : ٢٣٢/١ .

(٣) حياة الصحابة : ٧٣٠/٣ . زبره : زجره واغلظ له في القول .

فرآني اهمس، قال: قل ياابن اخي ولا تحقرنفسك، قلت: عنى بها العمل ، قال : وما عنى بها العمل ؟ قلت: شيء القي في روعي فقلته، فتركني واقبل وهو يفسرها ، صدقت يا ابن اخي عنى بها العمل، ابن آدم أفقر ما يكون الى جنة إذا كبر سنه وكثرت عياله ، وابن آدم افقر ما يكون الى عمله يوم القيامة ، صدقت يا ابن اخي(١).

وعن محمد بن كعب القرظي عن ابن عباس رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلس في رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فذكروا ليلة القدر، فتكلم منهم من سمع فيها بشيء مما سمع ، فتراجع القوم فيها الكلام ، فقال عمر : مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم ؟ ! لا تمنعك الحداثة ، قال ابن عباس : فقلت يا أمير المؤمنين إن الله تعالى وتر يحب الوتر ، فجعل أيام الدنيا تدور على سبع ، وخلق الانسان من سبع ، وخلق أرزاقنا من سبع ، وخلق فوقنا سموات سبعاً ، وخلق تحتنا أرضين سبعاً ، وأعطى من المثاني سبعاً ، ونهى في كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع ، وقسم الميراث في كتابه على سبع ، ونقع في السجود من أجسادنا على سبع ، وطاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة سبعاً وبين الصفا والمروة سبعاً، ورمى الجمار بسبع لإقامة ذكر الله بما ذكر في كتابه ، فأراها في السبع الأواخر من شهر رمضان، والله أعلم. فتعجب عمر وقال: ما وافقني فيها أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الغلام الذي لم تستو شؤون رأسه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) حياة الصحابة : ٧٣١/٣ . والهمس الكلام الخفي . روعي : قلبي .

التمسوها في العشر الأواخر . ثم قال : يا هؤلاء ، من يؤديني في هذا كأداء ابن عباس (١) ؟ .

جرأته في قول الحق امام عمر :

كان الناس يهابون عمر رضي الله عنه ، وقلما ترى واحداً يجرؤ على التحدث امامه مهابة له ، حتى إن ابن عباس نفسه رضي الله عنه قال : مكثت سنة وانا اريد ان أسأل عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عن آية فلا استطيع ان أسأله هيبة له(٢) .

لكن ابن عباس لم تمنعه هيبة عمر أن يقول عنده ما يعتقده حقاً ، فالحق أحق أن يقال ويتبع ، ولا يبالي بعد ذلك أقابله عمر بشيء من الزجر أو الإعراض أم لم يقابله .

روى البيهقي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا صلى صلاة جلس للناس ، فمن كان له حاجة كلمه ، وإن لم يكن لأحد حاجة قام ، فصلى ذات يوم فلم يجلس ، فقلت يايرفأ أبأمير المؤمنين شكاة ؟ فقال : ما بأمير المؤمنين شكو ، فجلست فجاء عثمان بن عفان رضي الله عنه فجلس ، فخرج يرفأ فقال : قم يا ابن عفان ، قم يا ابن عباس ، فدخلنا على عمر فإذا بين يديه صُبر من مال على كل صُبْرة منها كتف ، فقال : إني نظرت إلى أهل المدينة فوجدتكما من اكثر أهلها عشيرة ، فخذا هذا المال فاقتسماه ، فما كان من فضل فردّا ، فأما عثمان فجثا ، وأما انا فجثوت لركبتي وقلت: وإن كان نقصاناً رددت

---

(١) الحلية لأبي نعيم : ٣١٧/١ ـ ٣١٨ .

(٢) انظر سيرة عمر للطنطاوي : ٤٦٢ فما بعدها .

علينا ؟ فقال عمر : شنشنة من أخشن ، أما كان هذا عند الله إذ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون القدّ ؟ فقلت : بلى والله ، لقد كان هذا عند الله ومحمد حي ، ولو عليه فتح لصنع فيه غير الذي تصنع ، فغضب عمر وقال : إذن صنع ماذا ؟ قلت : إذاً لأكل وأطعمنا ، فنشج عمر حتى اختلفت أضلاعه ثم قال : وددت أني خرجت منها كفافاً لا لي ولا علي(١) .

وعن يزيد بن الأعصم عن ابن عباس قال: قدم على عمر رجل، فجعل عمر يسأله عن الناس فقال : يا أمير المؤمنين ، قد قرا القرآن منهم كذا وكذا ، فقلت والله ما أحبّ أن يسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قال فزبرني عمر ثم قال : مَهْ ، فانطلقت الى منزلي مكتئباً حزيناً ، فقلت : قد نزلت من هذا بمنزلة ولا أراني إلا سقطت من نفسه ، فاضطجعت على فراشي حتى عادني نسوة أهلي ومابي وجع ، فبينا أنا على ذلك قيل لي : أجب أمير المؤمنين ، فخرجت فاذا هو قائم على الباب ينتظرني ، فأخذ بيدي ثم خلا بي فقال : ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً؟ قلت : ياأمير المؤمنين إن كنت أسأت فإني استغفر الله واتوب إليه، وانزل حيث أحببت، قال : لتخبرني ، قلت : متى ما يسارعوا هذه

---

(١) حياة الصحابة : ٤٨٥/٢ فما بعدها . يرفأ : حاجب عمر . شكاة : مرض . شنشنة من أخشن : اي حجر من جبل ، وأصل الشنشنة السجية والطبيعة . وقصد عمر تشبيهه بأبيه العباس في شهامته ورايه وجراته على القول . القد : السير يقد ويقطع من جلد ، يريد أنهم كانوا يأكلون جلد السخلة في الجدب . نشج : النشيج : صوت معه بكاء وتوجع .

المسارعة يحتقوا ، ومتى ما يحتقوا يختصموا ، ومتى ما اختصموا ، يختلفوا ، ومتى ما يختلفوا يقتتلوا ، قال : لله أبوك لقد كنت اكتمها الناس حتى جئت بها(١) .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت قاعداً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جاءه كتاب أن أهل الكوفة قد قرأ منهم القرآن كذا وكذا ، فكبر رحمه الله ، فقلت : اختلفوا ، فقال : أف ! وما يدريك ؟ قال: فغضب فأتيت منزلي ، قال : فأرسل إليّ بعد ذلك فاعتللت له فقال : عزمت عليك إلا جئت ، فأتيته فقال : كنت قلت شيئاً ، قلت : استغفر الله ، لا أعود لشيء بعدها ، فقال : عزمت عليك إلاّ أعدت علي الذي قلتَ ، قلتُ: قلتَ كتب إليّ أنه قد قرأ القرآن كذا وكذا، فقلت اختلفوا، قال: ومن أي شيء عرفت ؟ قلت : قرأت « ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه » حتى انتهيت الى « والله لا يحب الفساد » فإذا فعلوا ذلك لم يصبر صاحب القرآن ، ثم قرأت « وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد . ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » قال : صدقت والذي نفسي بيده(٢) .

---

(١) سير النبلاء : ٢٣٣/٣ . ويحتقوا : يقول كل واحد منهم الحق بيدي . انظر النهاية لابن الأثير .

(٢) حياة الصحابة : ٧٥٢/٣ ـ ٧٥٣ . والآيات من سورة البقرة (٢٠٦ ـ ٢٠٧) .

وصية ابيه العباس له:

وإذ رأى العباس قرب ابنه من عمر أمير المؤمنين خشي عليه أن تزل قدمه عنده فيكون ما لا تحمد عقباه ، لذلك أوصى ابنه بوصية ثمينة .

روى مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال لي أبي : إن عمر يدنيك ويجلسك مع أكابر الصحابة فاحفظ عني ثلاثاً : لا تُفشينّ له سراً ، ولا تغتابنّ عنده أحداً ، ولا يجربنّ عليك كذبا .

قال الشعبي: قلت لابن عباس : كل واحدة خير من الف، فقال ابن عباس : بل كل واحدة خير من عشرة آلاف(١) . ولقد نفذ ابن عباس وصية أبيه فكان يعظم عمر ويهابه ، فكان إذا خطر في نفسه أمر يريد أن يسأل عمر عنه هابه وتردد في سؤاله .

أخرج ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حديث ما منعني منه إلا هيبته ، حتى تخلف في حج أو عمرة في الأراك الذي ببطن مر الظهران لحاجته ، فلما جاء وخلوت به قلت : يا امير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما يمنعني إلا هيبة لك ، قال فلا تفعل ، إذا اردت أن تسأل فسلني ، فإن كان منه عندي علم أخبرتك ، وإلاّ قلت لا أعلم ، فسألت من يعلم ، قلت : من المرأتان اللتان ذكرهما أنهما تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : عائشة وحفصة(٢) .

---

(١) البداية والنهاية : ٨/٢٩٩ .

(٢) انظر كتاب جامع بيان العلم وفضله : ١/١١٢ لابن عبد البر وانظر حياة الصحابة : ٣/٧٠ واصله في البخاري ٣/١٠٣ .

هيبة الناس لعمر :

وكما ان ابن عباس كان لعمر هيبة في نفسه فقد كانت هذه الهيبة تملأ نفوس الناس أيضاً . روى ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما ولي عمر بن الخطاب قال له رجل : لقد كاد بعض الناس ان يحيد هذا الأمر عنك . قال عمر : وما ذاك ؟ قال : يزعمون انك فظ . قال عمر : الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رحماً ، وملأ قلوبهم لي رعباً (١) .

ابن عباس في اواخر حياة عمر :

لم يزل ابن عباس مصاحباً لعمر رضي الله عنه وقريباً منه حتى فارقته الحياة ، ولقد جلس الى عمر بعدما طعن واخذ يسليه بذكر فضائله وآثاره في الاسلام .

عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة : قال : لما طعن عمر جعل يألم ، فقال له ابن عباس ــ وكأنه يجزعه ــ : يا أمير المؤمنين ، ولئن كان ذاك ، لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو عنك راض ، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض ، ثم صحبت صَحبهم فأحسنت صحبتهم ، ولئن فارقتهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون .

قال : أما ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فإنما ذاك من الله تعالى منَّ به عليَّ ، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذاك منّ من الله جل ذكره ، من به عليَّ ، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك ،

---

(١) انظر حياة الصحابة : ٢/١٤٥ .

والله لو ان لي طِلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عزّ وجلّ قبل أن أراه(١) .

وأخرج ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما طعن عمر رضي الله عنه دخلت عليه فقلت له : أبشر يا أمير المؤمنين فإن الله قد مصّر بك الأمصار ، ودفع بك النفاق ، وأفشى بك الرزق . قال : أفي الإمارة تثني عليّ ياابن عباس ؟ فقلت : وفي غيرها ؟ قال : والذي نفسي بيده لوددت أني خرجت منها كما دخلت فيها لا أجر ولا وزر .

وأخرج ابن سعد عنه (وذكر الحديث) وفيه : فقلت أبشر بالجنة ، صاحبت رسول الله ، فأطلت صحبته ، ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة . فقال : أما تبشيرك إياي بالجنة فوالله الذي لا إله الا هو لو أن لي الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر ، وأما قولك في إمرة المؤمنين فوالله لوددت أن ذلك كفاف لا لي ولا علي ، وأما ماذكرت من صحبة رسول الله صى الله عليه وسلم فذاك .

وأخرج ابن سعد أيضاً من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير مطولا وفيه : فقال عمر رضي الله عنه : اجلسوني . فلما جلس قال لابن عباس رضي الله عنهما : أعد عليّ كلامك ، فلما أعاد عليه قال : أتشهد بذلك عند الله يوم تلقاه ؟ فقال ابن عباس رضي الله عنهما : نعم ، قال ففرح عمر رضي الله عنه بذلك وأعجبه(٢) .

---

(١) البخاري : ٢٠١/٤ . طعن : طعنه ابو لؤلؤة المجوسي . يجزعه : يزيل جزعه . طلاع الأرض : ملؤها .

(٢) انظر حياة الصحابة : ٢٥٦/٢ ـ ٢٥٧ .

ولقد ظل ابن عباس مرافقاً لعمر بن الخطاب حتى وضع على سريره بعد الموت ووري بعد ذلك في ترابه ، وها هو يروي لناموقفاً يحكي لنا فيه ثناء علي رضي الله عنه على عمر .

عن ابن عباس قال : إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك ، لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر . فإن كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب(١) .

---

(١) البخاري: : ١٩٧/٤ .

الفصل الثاني

عِلمُه وفِقهُه

شخصيته العلمية :

لقد كانت شخصية ابن عباس رضي الله عنه شخصية متكاملة متعددة الجوانب، لا يرغب المرء فيخصلة من خصال الخير والفضيلة والشرف والعلاء والسيادة والتفوق إلا ويجد فيشخصيته نموذجاً حياً واضحاً عن ذلك ، بل قد يجد أكثر من نموذج واحد .

ولكن الى جانب هذا هناك جانب بارز في حياته هو جانب العلم والفقه ، وما كان هذا التفوق في هذا الجانب الا نتيجة لعاملين أساسيين :

أحدهما : دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم له إذ قال : (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فكان بهذه الدعوة فقيهاً من جلّة الفقهاء ، ومفسراً لكتاب الله من ألمع المفسرين .

ثانيهما : ما أودع الله سبحانه فيه من كفاءة نادرة ، وذكاء حادّ ، وصبر في تحصيل العلم ، وقدرة على الاستيعاب والإحاطة بكل ما يلقى اليه ، ولعل هذا العامل أثر من آثار العامل الأولأيضاً . وسيأتي تفصيل لذلك إن شاء الله تعالى .

ولقد برع ابن عباس في ميادين شتى من ميادين العلم والمعرفة، فقد كان بارعاً في الفقه . مجلياً في التأويل والتفسير . محلقاً في الأدب والشعر واللغة . حتى كان مرجع الناس في ذلك كله ، وموئل العلماء فيما يحتاجون إليه من هذه العلوم . قال أبو صالح : لقد رأيت من ابن عباس مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها الفخر . لقد رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ، ولا أن يذهب . قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لي : ضع لي وضوءاً ، قال : فتوضأ وجلس وقال: اخرج فقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أريد منه فليدخل . قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم عنه . وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل، قال: فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم وزادهم مثل ما سألوا أو أكثر . ثم قال : اخرج فقل من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل ، قال : فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به وزادهم مثله أو أكثر ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل ، فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء إلا أخبرهم به

وزادهم مثله ، ثم قال : إخوانكم ، فخرجوا . قال أبو صالح : فلو أن قريشاً فخرت بذلك لكان فخراً ، فما رأيت هذا لأحد من الناس(١) .

وقال عمرو بن دينار في ابن عباس : ما رأيت مجلساً أجمع لخير من مجلسه : الحلال والحرام ، وتفسير القرآن ، والعربية والشعر والطعام(٢) .

وقال عبد الله بن عتبة : كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال : بعلم ماسبق إليه ، وفقه فيما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب ونائل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير للقرآن ، ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أعلم فيما مضى ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، فلقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً ما يذكر فيه إلا التاويل ، ويوماً ما يذكر فيه إلا المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب ، وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له ، ولا وجدت سائلا سأله إلا وجد عنده علماً ، قال : وربما حفظت القصيدة من فيه ينشدها ثلاثين بيتاً (٣) .

---

(١) البداية والنهاية : ٣٠٢/٨ . حلية الأولياء لأبي نعيم : ٣٢٠/١ . حياة الصحابة : ٧١١/٣ فما بعدها .

(٢) البداية والنهاية : ٣٠٢/٨ .

(٣) المصدرالسابق : ٣٠١/٨ وانظر سير النبلاء : ٢٣٥/٣ .

وقال عطاء : ما رايت مجنساً اكـرم من مجلس ابن عباس ولا أكـثر فقهاً ولا اعظـم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونـه ، وأصحاب العربية يسألونه ، وأصحاب الشعريسألونه، فكلهم يصدر عن وادٍ واسع(١) .

ولقد بلـغ من مكانته في العلم أنه يكون له موكب من طلاب العـلم يضارع موكب الخليفة .

قال يزيد بن الأصم : خرج معاوية حاجـاً معه ابن عباس ؛ فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم(٢) .

نبوغه في الفقه والتفسير والحديث :

ومهما قلنا عن تنوع المعرفة عند ابن عباس فان الشيء الذي هو محل اتفاق عند الناس أجمعين أنه قد برع في جوانب ثلاثـة هي : الفقه والتفسير والحديث . فقد كان رضي الله تعالى عنه مجلّياً في ذلك حتى كـان مرجع الناس إليـه الغـدو والرواح . ولم يكن هذا الجمع لهذه العلوم وغيرها ــ فيما أعلم ــ لأحد مـن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وها نحن فيما يـلي نفرد الحـديث عنه ــ رضيَ الله عنه ــ في كـل جانب من هـذه الجوانب الثلاثة .

من أين حصل على هذا العلم ؟

ولسائل أن يسأل : من أين لابن عباس أن يحصل هذا العلم الواسع المتنوع ، وقد كان من صغار الصحابة . وتوفي رسـول الله

---

(١) البداية والنهاية ٣٠١/٨ .

(٢) سير النبلاء : ٢٣٥/٣ .

صلى الله عليه وسلم ولم يعد الثالثة عشرة من عمره ، وقد كان في اصحاب رسول الله من هو اكبر سناً منه . ولكنه لم يبلغ شأوه فيما وصل اليه ؟ ولكي نجيب على هذا التساؤل لا بدّ أن نرجع الى حياة ابن عباس لنضع يدنا على المفتاح الذي يفتح لنا مغاليق هذا السؤال .

انا إذا ما رجعنا الى هذه الحياة وجدنا الأمور التالية :

١ً ــ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالفقه والفهم ، وكفى بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سبباً لهذا العلم الواسع والفهم العميق .

٢ً ــ ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم : ولقد مرّ بك ان ابن عباس ظلّ منذ أسلم ملازماً للرسول عليه الصلاة والسلام في شتى انواع حياته : في سفره وفي حضره ، في بيته وخارج بيته ، مما اكسبه معرفة لم تتح لنظرائه من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام .

٣ً ــ ملازمته لعمر وعلي رضي الله عنهما : وهما من كبار فقهاء الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ، فقد كان ملازماً لعمر طيلة حياته . واحد الأفراد الذين يجالسهم ويركن اليهم ، وكان أيضاً بعد ذلك ملازماً لابن عمه علي رضي الله عنه ، سيما في الزمن الذي آلت إليه فيه الخلافة .

قال معمر : عامة علم ابن عباس من ثلاثة : من عمر وعلي وأبيّ بن كعب(١) .

وقال ابن عباس : لما فتحت المدائن أقبل الناس على الدنيا ، وأقبلتُ على عمر . فكان عامة حديثه عن عمر(٢) .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٩٨/٨ .
(٢) حياة الصحابة : ٦٤٥/٣ .

٤ً ــ حرصه على العلم وصبره في تحصيلـه : فقـد كان رضي الله عنه لا يأنف أن يأخذ العلم ممن عنده علم ، فالحكمة ضالة المؤمن اينما وجدها فهو أحق بها ، وكان لاتحول شدة الحرّ ولاشدة البرد دون تلقيه العلم ،ولا تدفعه مكانته من رسول الله أن يتعلـم العلم حيثما كان .

روى البيهقي عن ابن عباس قال : لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هَلُـم فلنسـأل أصحـاب رسول الله فإنهم اليوم كثير ، فقال : ياعجباً لك يا ابن عباس !! أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس مـن أصحـاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فيهم ؟

قال : فتركت ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليم وسلم . فإنكان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل ــ القيلولة النوم في منتصف النهار ــ فأتوسد ردائي على بابه . ويسفي الريح عليّ من التراب ، فيخرج فيراني فيقول : يا ابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ هلاّ أرسلت اليّ فآتيك ، فأقول : لا ، أنا أحق أن آتيك . قال : فأسأله عن الحديث ، قال : فعاش هذا الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع حولي الناس يسألونني فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني(١) . وروى محمد بـن عبد الله الأنصاري عن أبي سلمة عن ابن عباس قال : وجـدت عامة علـم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذا الحي من الأنصار ، إن كنت لأقيل بباب أحدهم ، ولو شئت أن يؤذن لي عليه لأذن لي ، ولكن ابتغي بذلك طيب نفسه(٢) .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٩٨/٨ . وانظر حيـاة الصحابـة : ٦٤٤/٣ .

(٢) المصدر السابق .

روى محمد بن سعد عن ابي سلمة قال : سمعت ابن عباس يقول : كنت ألزم الأكابر من اصحاب رسول‌الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار فأسألهم عن مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما نزل من القرآن في ذلك ، وكنت لا آتي احداً منهم إلا سر بإتياني إليه لقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً — وكان من الراسخين في العلم — عما نزل من القرآن بالمدينة فقال : نزل تسع وعشرون سورة ، وسائرها مكي(١) .

٥ً — كثرة سؤاله وتثبته :

لقد كان ابن عباس ملحافاً في العلم ، لا يتوانى عن السؤال فيه ، متثبتاً في نقله ، لا يكتفي بسؤال الرجل أو الرجلين عن المسألة بل يسأل كل من أمكنه أن يسأل عما يريد من الأمور .

ولقد تحدث هو نفسه عن ذلك حينما قيل له : أنّى أصبت هذا العلم ؟ فقال : بلسان سؤول وقلب عقول(٢) .

وقال: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم(٣) . وكان لا يستنكف عن سؤال غيره إن دعت حاجة لذلك ، ولقد تجادل ذات مرة مع الحرّ بن قيس في صاحب موسى ، فسأل أبي بن كعب عنه .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٩٨/٨ .
(٢) المصدر السابق : ٢٩٩/٨ .
(٣) سير النبلاء :٣٣١/٣ .

روى البخاري عن ابن عباس انه تمارى هو والحرّ بن قيس ابن حصن الفزاري في صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو خضر ، فمرّ بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لقيّه ، هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه ؟ قال : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بينما موسى في ملأ بني اسرائيل جاءه رجل فقال : هل تعلم أحداً أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا خَضِر ، فسأل موسى السبيل إليه ، فجعل الله له الحوت آية ، وقيل له : إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، وكان يتبع أثر الحوت في البحر ، فقال لموسى فتاه : ارأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، قال : ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً ، فوجدا خَضِراً فكان من شأنهما الذي قصّ الله عز وجلّ في كتابه(١) .

وكان لا يأخذ عن أحد إلا بعد تثبت واطمئنان وتوثق .

روى مسلم في صحيحه عن مجاهد قال : جاء بُشَير العدوي إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي ؟ أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ! فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول :

---

(١) البخاري:١/٢٦ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصَّعْب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف(١) .

وبعد : فإن من تجمعت فيه هذه الصفات : دعاء رسول الله له وقرابته منه ، وملازمته له وللفقهاء من أصحابه بعده ، إلى حرص على العلم وإكثار من السؤال عنه وتثبت فيه ، حري به أن يكون لديه هذا العلم الزاخر ، وأن يقال في شأنه : إنه حبر هذه الأمة ، وأن يسميه الناس البحر لسعة علمه(٢) .

هل أثّر عماه على علمه ؟

لقد فقد ابن عباس بصره في أخريات عمره ، فهل كان لفقد البصر تأثير على علمه ؟

عن عكرمة قال : كان ابن عباس في العلم بحراً ينشق له الأمر من الأمور ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اللهم ألهمه الحكمة وعلمه التأويل . فلما عمي أتاه الناس من أهل الطائف ومعهم علم من علمه ، أو قال : كتب من كتبه ، فجعلوا يستقرئونه ، وجعل يقدم ويؤخر ، فلما رأى ذلك قال : إني تلهتُ من مصيبتي هذه ، فمن كان عنده علم من علمي فليقرأ عليّ فإن إقراري له كقراءتي عليه ، فقال : فقرؤوا عليه(٣) .

---

(١) مسلم : ١/١٠ . لا يأذن لحديثه : لايستمع ولا يصغي . ركب الناس الصعب والذلول . قال النووي : فهو مثال حسن ، فالصعب العسر المرغوب عنه ، والذلول السهل المرغوب فيه ، فالمعنى سلك الناس كل مسلك مما يحمد ويذم .

(٢) انظر سير النبلاء : ٣/٢٣٥ . فما بعدها .

(٣) سير النبلاء : ٣/٢٣٨ . تلهت : تحيرت والأصل ولهت .

ابن عبّاس والفِقْه

مكانته في الفقه :

وبعد فقد آن لنا أن نتحدث عن الميدان الأول الذي برع فيه ، ألا وهو ميدان الفقه ، وفي الحق ان ابن عباس قد بلغ فيه مكانة بذّ فيها من سبقه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لقد قال عنه طاووس : أدركت نحواً من خمسمائةمن الصحابة إذا ذكروا ابـن عباس فخالفوه ، فلم يـزل يقررهـم حتى ينتهوا إلى قولـه .

وقال مجاهد : ما سمعت فتيا أحسن من فتيا ابن‌عباس إلا أن يقول قائل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

ولقد كان يقوم بالفتوى في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما ، فعن عطاء بن يسار : أن عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا يدعوان ابن عباس رضي الله عنهما فيشير مع أهل بدر ، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات .

وعن زياد بن ميناء قال : كان ابن عبـاس ، وابن عمر ، وأبـو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وجابر ابن عبدالله ، ورافع بن خديج ، وسَلمَةبن‌الأكوع، وابوواقدالليثي، وعبدالله‌بن‌بُحينة ، معأشباه لهم من‌أصحاب رسول الله صلى‌الله‌عليه

---

(١) سير النبلاء : ٣/٣٢٥ .

وسلم ، يفتون في المدينة ، ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا ، والذين صارت إليهم الفتوى منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وابو سعيد الخدري ، وأبو هريرة ، وجابر بن عبد الله(١) .

وكان ابن عباس أكثر فقهاً وفتياً واجتهاداً من عبد الله بن عمر.

فعن نافع قال : كان ابن عمر وابن عباس يجلسان للناس عند قدوم الحاج ، فكنت اجلس إلى هذا يوماً ، وإلى هذا يوماً ، فكان ابن عباس يجيب ويفتي في كل ما سئل عنه ، وكان ابن عمر يرد اكثر ما يفتي(٢) .

وكان ابن عباس أحد الفقهاء السبعة الذين انتهت اليهم الفتيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا من المكثرين فيها .

قال ابن حزم في كتاب الإحكام في الباب الثامن والعشرين : المكثرون من الفتيا من الصحابة رضي الله عنهم ، فيما روى عنهم من الفتيا : عائشة أم المؤمنين ـ عمر بن الخطاب ـ ابنه عبد الله ـ علي بن أبي طالب ـ عبد الله بن العباس ـ عبد الله بن مسعود ـ زيد بن ثابت ، فهم سبعة يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم سفر ضخم ، وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب بن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبدالله بن العباس في عشرين كتاباً ، وابو بكر المذكور احد ائمة الاسلام في العلم والحديث(٣) .

---

(١) حياة الصحابة : ٣/٧٨٧ . وانظر سير النبلاء : ٣/٢٢٣ .
(٢) سير النبلاء : ٣/١٤٧ .
(٣) الاحكام لابن حزم: ٥/٦٦٦ . وانظر سير النبلاء: ٣/١٥٩ .

وكان ابن عباس مرجع الصحابة عند اختلافهم في أمور الفقه .

قال ليث بن أبي سليم : قلت لطاووس: لم لزمت هذا الغلام ـ يعني ابن عباس ـ وتركت الأكابر من الصحابة ؟ فقال : إني رأيت سبعين من الصحابة إذا تماروا في شيء صاروا إلى قوله(١) .

ولقد شهدت له السيدة عائشة بأنه أعلم الناس بمناسك الحج(٢) .

كما شهد له عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ فلقد قال : ابن عباس أعلمنا بما مضى وافقهنا فيما نزل ، مما لم يأت فيه شيء(٣) .

وكان رضي الله عنه مع علمه الواسع يكرّم العلماء ويحفظ لهم أقدارهم ، إذ لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه .

قال الشعبي : ركب زيد بن ثابت ، فأخذ ابن عباس بركابه، فقال : لا تفعل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : هكذا امرنا أن نفعل بعلمائنا ، فقال زيد : أرني يديك . فأخرج يديه فقبلهما فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا(٤) .

وكان ابن عباس من شدة وعيه في العلم والتعليم يحث الناس على السؤال ، ولا يكتفي بذلك بل يسألهم عما فهموه منه ليتأكد من سلامة فهمهم .

---

(١) انظر البداية والنهاية : ٣٠١/٨ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) حياة الصحابة :٧٩٧/٣ .

(٤) البداية والنهاية : ٣٠١/٨ .

فعن أبي السَّفَر يقول : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : يا أيها الناس ، اسمعوا مني ما أقول لكم ، واسمعوني ما تقولون ، ولا تذهبوا فتقولوا قال ابن عباس ، قال ابن عباس ،من طاف بالبيت فليطف من وراء الحجْر ، ولا تقولوا الحَطيم ، فإن الرجل في الجاهلية كان يحلف فيلقي سوطه أو نعله أو قوسه(١) .

منهجه في الفقه :

كان ابن عباس يسلك في فقهه المنهج العلمي الصحيح ، فلا يستعمل رأيه إلا عندما لا يجد نصاً في ذلك ، أو فتوى عن أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم .

فعن عبد الله بن أبي يزيد قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل عن شيء فإن كان في كتاب الله قال به ، وإن لم يكن في كتاب الله وكان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال به ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله وكان عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ؛ قال به ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أبي بكر ولا عن عمر اجتهد رايه .

وعن ابن عباس قال : كنا إذا أتانا الثّبْت عن علي رضي الله عنه لم نعدل به(٢) .

---

(١) البخاري : ٢٣٨/٤ يحلف : يعقد حلفاً . فيلقي : أي بعد أن يحلف علامة لعقد حلفه ، فسموه بالحطيم لذلك لكونه يحطم أمتعتهم ، فعيل بمعنى فاعل .

(٢) حياة الصحابة : ٧٨٣/٣ .

مسائل من فقهه :

لابن عباس في الفقه مذهب خاص به ينسب إليه ، وقلّما تجد باباً من أبواب الفقه إلا وتجد له فيه رأياً ، وفيما يلي نعرض نبذة من المسائل الفقهية التي كان له فيها رأي بارز ، إذ من المتعذر أن يعرض المرء جميع آرائه في الفقه ، فذاك مما لا تتسع له هذه العجالة .

المسألة الأولى : رايه في قصر الصلاة عند الإقامة في بلد :

إذا اقام المسافر في بلدة ، وكان متردداً غير عازم على إقامة أيام معلومة ، فإلى أي مدى يجوز له قصر الصلاة في هذه البلدة ؟

ذهب ابن عباس إلى انه في هذه الحالة يقصر تسعة عشر يوماً ، فإن زاد على ذلك أتم .

فقد جاء عن ابن عباس انه قال : لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة اقام فيها تسع عشرة يصلي ركعتين ، قال : فإذا سافرنا فأقمنا تسع عشرة قصرنا ، وإن زدنا أتممنا(١) .

وذهب فريق من الصحابة إلى انه يقصر مادام مسافراً حتى يعود إلى بلدته التي خرج منها ، او ينوي الإقامة في بلدة احب أن يسكن فيها ، وروي أن ابن عمر اقام بأذربيجان ستة اشهر يقصر الصلاة ، وروي عن انس بن مالك انه أقام بنيسابور سنة أو سنتين يقصر الصلاة . وروي عن جماعة من الصحابة انهم أقاموا برامهرمز تسعة أشهر يقصرون الصلاة(٢) .

---

(١) البخاري : ٣٤/٢ .

(٢) سبل السلام : ٦٦/١ باب صلاة المسافر والمريض .

وذهب الشافعي إلى ما ذهب إليه ابن عباس من أن الصلاة تقصر إذا كان له حاجة يتوقع قضاءها كل يوم ، ما لم تزد على تسعة عشر يوماً بما فيها يوما الدخول والخروج(١) .

وذهب ابو حنيفة إلى الراي الثاني ، وهو انه يقصر الصلاة حتى يعود إلى موضع مقامه ، ما لم ينو الإقامة في مكان صالح للإقامة مدة نصف شهر فيتم عند ذلك(٢) .

المسالة الثانية : رايه في ميراث الجد مع الإخوة :

مسألة الجد والإخوة مسألة عرضت للصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن له فيها قضاء ، لذلك اختلفت فيها انظارهم وتشعبت آراؤهم ، ولقد كان الخلاف فيها من القوة والحيرة ان دفع عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول في حديث له على المنبر : ثلاث أيها الناس وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه : الكلالة ، والجد ، وابواب من الربا .

ولقد آل الخلاف إلى ظهور رايين متخالفين ، انضم إلى كل رأي فريق من الصحابة .

الرأي الأول : راي ابي بكر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، ومعاذ ابن جبل ، وابي موسى الأشعري ، وابي هريرة ، وعائشة ، وجمع من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وكان هذا راي عمر في بادىء الأمر ثم رجع عنه .

---

(١) انظر مغني المحتاج باب صلاة المسافر .

(٢) انظر حاشية ابن عابدين باب صلاة المسافر .

وهذا الراي يتلخص في ان الجد اولى في الميراث من الإخوة ، فإذا وجد معهم حجبهم ، فلا يبقى لواحد منهم ميراث ، لأن الجد اقرب إلى الميت منهم ، لأنه اب ، فيحجبهم كما يحجبهم الاب .

قال البخاري رحمه الله : قال ابو بكر وابن عباس وابن الزبير الجدّ اب، وقرا ابن عباس : يابني آدم ، واتبعت ملة آبائي إبراهيم واسحق ويعقوب ، ولم يذكر ان احداً خالف ابا بكر في زمانه ، واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متوافرون . وقال ابن عباس: يرثني ابن ابني دون إخوتي ، ولا ارث انا ابن ابني ؟!(١)

الراي الثاني : رأي علي ، وعمر ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله ابن مسعود رضي الله عنهم .

ويتلخص هذا الراي في ان الجد والإخوة كلاهما يرث ، لأنهما يتساويان في درجة القرب ، إذ كلاهما يدلي إلى الميت عن طريق الأب .

ولقد قال ابن عباس في الرّد على زيد بن ثابت في هذه المسألة : الا يتقي الله زيد ؟ يجعل ابن الابن ابناً ولا يجعل ابا الأب اباً . فكان ابن عباس يرى أن القياس يقتضي حرمان الإخوة مع الجد(٢) .

وإلى الراي الأول مال ابو حنيفة رحمه الله وفريق من الفقهاء.

وإلى الراي الثاني مال الإمام الشافعي ومالك واحمد في اصح الروايتين عنه . وهذا الراي هو المعمول به حالياً في الأقطار الإسلامية(٣) .

---

(١) البخاري : ٦/٨ .

(٢) إعلام الموقعين : ١٧٦/١ .

(٣) انظر كتابنا اثر الاختلاف في القواعد الأصولية : ١٠٩ . فما بعدها .

رأيه في ميراث البنتين :

أجمع الفقهاء على ان البنت الواحدة إذا لم يكن معها معصب تستحق النصف من الميراث ، وإن كانتا أكثر من اثنتين فلهما ثلثا ما ترك ، أخذاً من قوله تعالى : « فإن كُنَّ نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف(١) » .

وأما إذا كانتا اثنتين فقد وقع الخلاف في توريثهما ، فذهب جمهور الفقهاء إلى أن لهما الثلثين أيضاً ، قياساً على الأختين .

وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن لهما النصف، فالواحدة والثنتان سواء(٢) .

وذكر ابن عبد البر أن هذا لم يصح عن ابن عباس رضي الله عنه(٣) .

المسألة الثالثة : رأيه في ميراث الأم مع عدد من الإخوة :

ذهب الجمهور من الفقهاء إلى انه إذا كان في الورثة أم واثنان أو اثنتان فصاعدا من الإخوة أو الاخوات ، من أي جهة كانا ، فللأم حينذاك السدس ، وحملوا قوله تعالى : « فإن كان له إخوة فلأمه السدس » على الاثنين فأكثر .

وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أنه لا يحجب الام من الثلث

---

(١) النساء : ١١

(٢) انظر تفسير القرطبي : ٦٣/٥ . وشرح الرحبية للشيخ السبتي : ٤٣ .

(٣) انظر الشنشوري على الرحبية : ٧٦ .

إلى السدس في هذه الحالة إلا إذا كانوا ثلاثة فصاعداً ، لأنه أقل الجمع . وقال لعثمان رضي الله عنهما : الإخوة بلسان قومك ثلاثة فلم حجبت باثنين ؟ فقال عثمان : لا أستطيع أغير شيئاً حكم بـه من قبلي(١) .

المسألة الرابعة : رأيه في تحريق الزنادقة :

روى البخاري عن عكرمة قال : أتي عليّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم ، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تعذبوا بعذاب الله » ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من بدّل دينه فاقتلوه(٢) » .

ولقد بلغ انتقاد ابن عباس علياً فقال : ويح ابن عباس ، إنه لغوّاص على الهنات .

هذا وممن ذهب إلى المنع من التحريق عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وأجاز ذلك خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقد حرّق أبو بكر رضي الله عنه البغاة بالنار بحضرة الصحابة(٣) .

المسألة الخامسة : رأيه في نكاح المتعة :

نكاح المتعة هو تقييد الزواج بمدة معينة أو مجهولة ، سواء أكانت قريبة أم بعيدة ، كأن يقول : تزوجتك يوماً أو شهراً ، أو حتى أخرج من هذه البلدة .

---

(١) شرح الرحبية للسبتي : ٥٢ .
(٢) البخاري : ٨/٥٠ .
(٣) انظر فتح الباري : ٦/٩٢ .

ولقد كان يرى ابن عباس أن هذا النكاح جائز ، أو على الأقل كان يرى ذلك جائزاً عند الضرورة . ولم يكن قد بلغه نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

ففي مسلم أن عبد الله بن الزبير قام بمكة فقال : إن ناساً أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة يعرّض برجل ـ يريد ابن عباس ـ فناداه فقال : إنك لجلْف جاف ، فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين ـ يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فقال له ابن الزبير : فجرب بنفسك ، فوالله لئن فعلتها لأرجمنك بأحجارك . قال ابن شهاب : فأخبرني خالد بن المهاجر بن سيف الله أنه بينما هو جالس عند رجل جاءه رجل فاستفتاه في المتعة فأمره بها ، فقال له ابن أبي عمرة الأنصاري : مهلا . قال : ما هي والله لقد فعلت في عهد إمام المتقين ، قال ابن أبي عمرة : إنها كانت رخصة في أول الاسلام لمن اضطر إليها ، كالميتة والدم ولحم الخنزير ، ثم أحكم الله الدين ونهى عنها(١) .

روى البخاري أن علياً قيل له : إن ابن عباس لا يرى بمتعة النساء بأساً ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية(٢) .

وروي أيضاً عن أبي جمرة قال : سمعت ابن عباس سئل عن متعة النساء فرخص، فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد وفي النساء قلة أو نحوه ، فقال ابن عباس : نعم(٣) .

---

(١) مسلم : ٤/١٣٣ .

(٢) البخاري : ٨/٦١ و ٦/١٢٩ .

(٣) البخاري : ٦/١٢٩ .

ولقد كان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يعيب على ابن عباس فتواه تلك . ولقد قال له مرة : إنك امرؤ تائه فانظر ماتفتي به في متعة النساء ، فوالله وأشهد بالله : لقد نهانا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) .

ولقد نقل كثير من أهل العلم أن ابن عباس رضي الله عنه رجع عن فتياه هذه(٢) .

روى الترمذي عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال : إنما كانت المتعة في أول الاسلام ، كان الرجل يقدم البلدة ليس له فيها معرفة ، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى انه يقيم ، فتحفظ له متاعه ، وتصلح له من شأنه ، حتى نزلت هذه الآية : « إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » قال ابن عباس : فكل فرج سواهما حرام(٣) .

فعن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس:ما تقول في المتعة فقد أكثر الناس فيها حتى قال فيها الشاعر ، قال : وما قال ؟ قال : قال :

قد قلت للشيخ لما طال محبسه ... ياصاح هل لك في فتوى ابن عباس
وهل ترى رخصة الأطراف آنسة ... تكون مثواك حتى مصدر الناس

قال: وقد قال فيه الشاعر ؟ قلت: نعم ، قال فكرهها أو نهى عنها(٤) .

---

(١) إعلام الموقعين : ١٤٤/٤ .
(٢) انظر كتاب نيل الأوطار: ١٣٦/٦ . وفتح الباري: ١٣٦/٩ .
(٣) الترمذي .
(٤) نيل الأوطار : ١٣٥/٦ .

ويرى بعضهم ان الذي رجع عنه ابن عباس هو الاباحة المطلقة، وانه كان يبيحها للمضطر فقط(١) .

هذا ولقد وقع الاجماع على تحريم المتعة بعد أن كانت مباحة، عندما استفاض حديث المنع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان نهياً مؤبداً إلى يوم القيامة .

فعن سَبْرة الجهني أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة ، قال : فأقمنا بها خمسة عشر ، فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في متعة النساء ، وذكر الحديث الى أن قال : فلم أخرج حتى حرّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يا أيها الناس إني كنت قد أذنت لكم في الاستمتاع من النساء ، وإن الله حرم ذلك الى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخلِ سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً (٢) » .

المسألة السادسة : رايه في عقد زواج المحرم :

كان يرى ابن عباس أن للمحرم أن يعقد عقد زواج له ، وان يزوج غيره ، ولكن المحرّم في الحج هو الوطء ، واستدل على ذلك بزواج الرسول من خالته ميمونة .

روى البخاري عن ابن عباس قال : « تزوج النبي صلى الله

---

(١) انظر هامش صحيح مسلم : ١٣٣/٤ .

(٢) مسلم : ١٣٢/٤ .

عليه وسلم ميمونة وهو محرم ، وبنى بهـا وهو حـلال وماتت بسَرِف(١) » .

إلا أن الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ذهبوا إلى أن المحرِم بحج أو عمرة لا يجوز له ذلك ؛ واحتجـوا لما ذهبـوا إليه بأمور منها :

١ً ـ ما رواه مسلم عن عثمان رضي الله عنه قال : قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ينكِحُ المحرم ولا يُنكح ولا يخطب » .

٢ً ـ ما رواه أبو داود عن يزيد بن الأصم ـ وهو ابن خالة ابن عباس ـ : « أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها حلالاً وبنى بها حلالا » .

٣ً ـ ما رواه الترمذي عن أبي رافع قال : « تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال ، وكنت أنا الرسول بينهما » .

وقد ادّعى سعيد بن المسيّب وَهَم ابن عباس في هذه المسألة(٢)

المسألة السابعة : رأيه في المخابرة :

المخابرة : أن يكون العمل في الأرض ببعض ما يخرج منهـا والبذر من العامل ؛ وقد كان ابن عباس يرى جواز ذلك .

---

(١) البخاري : ٥/٨٦ . وسرف : اسم مكان .

(٢) انظر كتابنا أثر الاختلاف في القواعد الأصولية : ٣٥٢ وفتح الباري : ٩/١٣٠ ـ ١٣١ .

روى البخاري : قال عمرو ـ يعني ابن دنيا ـ قلت لطاووس: لو تركت المخابرة فإنهم يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، قال : أي عمرو ، إني أعطيهم وأغنيهم ، وإنّ أعلمهم أخبرني ـ يعني ابن عباس رضي الله عنهما ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينه عنها ، ولكن قال : « أن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليه خراجاً معلوماً (١) .

وقد ذهب الى ما ذهب اليه ابن عباس جمهور من الصحابة والتابعين .

وممن ذهب الى جواز المخابرة القاضي أبو يوسف والامام محمد .

اما الشافعية فذهبوا الى أن المخابرة غير جائزة لما فيها من الغَرر ، واحتجوا على ذلك بأحاديث وردت في النهي عن المخابرة منها : حديث مسلم عن جابر قال : كنا نخابر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصيب من القِصْري ومن كذا وكذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان له أرض فليزرعها أو ليحرثها أخاه ، والاّ فليدعها (٢) » .

وعن جابر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمزابنة والمخابرة وعن بيع الثمر حتى يبدو صلاحه(٣) » .

---

(١) البخاري : ٣/٦٩ وانظر أيضاً ٣/١٤٥ منه .
(٢) القصري : ما يبقى من الحب في السنبل مما لا يتخلص بعدما يداس .
(٣) المحاقلة في الزرع : بيع الزرع القائم بالحب كيلاً ، والمزابنة : بيع الرطب في النخل بالتمر كيلاً .

المسألة الثامنة : رأيه في غسل المحرم رأسه :

إذا أحرم المسلم بحج أو عمرة فهل يحلّ له أن يغسل رأسه ترفهاً ويزيل أوساخه ؟

كان ابن عمر لا يغسل رأسه وهو محرم إلا من احتلام . وأما ابن عباس فكان يرى انه يجوز له الاغتسال ترفهاً وتنظفاً . وأجاز للمحرم أن يدخل الحمام ويزيل أوساخه .

وقد دخل هو نفسه الحمام بالجحفة وهو محرم . وقال : إن الله لا يعبأ بأوساخكم شيئاً(١) .

وقد اختلف ابن عباس في مسألة الغسل هذه مع المسور بن مخرمة . فارسل ابن عباس من يسأل أبا أيوب الأنصاري عن ذلك . فاجاب أبو أيوب بما ذهب إليه ابن عباس .

روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن حنين : أن عبد الله ابن العباس والمسور بن مخرمة اختلفا في الأبواء ، فقال عبد الله ابن عباس : يغسل المحرم رأسه . وقال المسور : لا يغسل المحرم رأسه ، فارسلني عبد الله بن العباس إلى أبي أيوب الأنصاري ، فوجدته يغتسل بين القرنين ، وهو يستر بثوب ، فسلمت عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا عبد الله بن حنين أرسلني إليك عبد الله بن عباس أسألك كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل رأسه وهو محرم . فوضع أبو أيوب يده على الثوب فطأطأه حتى بدا لي رأسه ثم قال لإنسان يصب عليه : اصبب ، فصب

---

(١) انظر فتح الباري : ٤/٤٠ .

على رأسه ، ثم حرك بيديه فأقبل بهما وأدبر وقال : هكذا رأيته صلى الله عليه وسلم يفعل(١) .

وانظر من خلال هذا الحديث إلى حرص ابن عباس على العلم وعدم استكباره أن يسأل من عنده علم ، ولو كان أقل شهرة منه في ذلك .

المسألة التاسعة : رأيه في طواف الوداع للحائض :

طواف الوداع : هو الطواف الذي يؤديه الحاج عند منصرفه من البيت الحرام إلى بلاده ، كي يكون آخر عهده بالبيت . وهذا الطواف واجب ، فإذا تركه الحاج كان عليه دم . فإذا كانت المرأة حائضاً ، ولا يمكن أن تطوف فماذا تفعل ؟ ذهب عمر بن الخطاب ، وابنه ، وزيد بن ثابت ، إلى أن عليها المقام حتى تطهر فتطوف طواف الوداع ، وثبت عن ابن عمر وزيد رجوعهما عن ذلك فيما بعد(٢) .

ومذهب ابن عباس أن المرأة إذا حاضت بعد أن طافت طواف الإفاضة فطواف الوداع غير واجب عليها . قال ابن عباس : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن الحائض(٣) .

وفي البخاري عن عائشة أن صفية بنت حيي زوج النبي

---

(١) البخاري : ٢/٢١٥ والأبواء : بلدة بين مكة والمدينة . القرنين : هما قرنا البئر المبنيان على جانبيها .

(٢) انظر فتح الباري : ٣/٣٨٠ .

(٣) البخاري : ٢/١٩٥ .

صلى الله عليه وسلم حاضت ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : احابستنا هي ؟ قالوا : إنها قد افاضت قال : فلا إذاً .

وعن عكرمة أن أهل المدينة سألوا ابن عباس رضي الله عنهما عن امرأة طافت ثم حاضت ، قال : تنفر ، قالوا : لا نأخذ بقولك وندع قول زيد ، قال : إذا قدمتم المدينة فاسألوا ، فكان فيمن سألوا ام سُلَيم ، فذكرت لهم حديث صفية (١) .

المسألة العاشرة : رايه في التحصيب :

التحصيب : هو النزول في المحصَّب عقيب النَّفر من منى ، والبقاء فيه حتى يصلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

وقد عدّ كثير من الصحابة التحصيب سنة منهم : ابن عمر والخلفاء الأربعة .

وذهبت عائشة وابن عباس إلى أن التحصيب ليس بسنة ، فعن ابن عباس قال : ليس التحصيب بشيء إنما هـو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

المسألة الحادية عشرة : رايه في العمرة :

العمرة : هي زيارة البيت الحرام والطواف حوله والسعي والحلق بنيّة . وقد اختلف في حكمها أهي واجبة أم تطوع ؟

---

(١) البخاري : ٢/١٩٥ .

(٢) البخاري : ٢/١٩٧ . وانظر فتح الباري .

ذهب المالكية والحنفية إلى أنها تطوع . وذهب الشافعي إلى أنها واجبة كالحج . وهذا هو مذهب ابن عباس رضي الله عنه .

روى البخاري عن ابن عباس قال : إنها لقرينتها في كتاب الله عز وجل : « وأتموا الحج والعمرة لله » وقال ابن عمر رضي الله عنهما : ليس أحد إلا وعليه حجة وعمرة(١) .

المسألة الثانية عشرة : ذوق الطعام للصائم :

قال ابن عباس : لا بأس أن يتطعم القدر أو الشيء . والتطعم : إدخال الطعام في الفم من غير أن يدخل منه إلى الجوف شيء(٢) .

وقال الإمام أحمد : أحب إليّ أن يجتنب ذوق الطعام فإن فعل لم يضره ولا بأس به(٣) .

المسألة الثالثة عشرة : فساد الصوم بالقيء :

ذهب جمهور العلماء إلى التفرقة بين من سبقه القيء فلا يفطر، وبين من تعمده فيفطر . إلا ان ابن عباس رضي الله عنه ذهب إلى أن القيء لا يفطر مطلقاً ، وكان رضي الله عنه يقول : الصوم مما دخل وليس مما خرج ، وإلى مثل هذا ذهب ابن مسعود رضي الله عنه(٤) . وهو إحدى روايتين عن مالك رحمه الله تعالى .

---

(١) البخاري : ١٩٨/٢ . وانظر فتح الباري في أدلة الطرفين.
(٢) البخاري : ٢٣٣/٢ .
(٣) المغني لابن قدامة : ١٠٠/٣ .
(٤) البخاري : ٢٣٦/٢ . وانظر فتح الباري .

المسألة الرابعة عشرة : بيع الحاضر للبادي :

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن بيع الحاضر للبادي ، وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى إطلاق النهي وشموله جميع الحالات . أما ابن عباس رضي الله عنهما فذهب إلى المنع من هذا البيع إذا كان البائع يأخذ على ذلك أجراً ؛ بأن يكون سمساراً ؛ لأنه في هذه الحالة يضيق على المسلمين مصالحهم ، اما إذا لم يأخذ على ذلك أجراً بل قصد إلى نصيحة صاحب الحاجة كي لا يقع به غرر لجهله بالسوق وطرائق البيع والشراء فلا بأس بذلك .

روى طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تَلَقَوْا الركبان ، ولا يبع حاضر لبادٍ . قال : قلت لابن عباس : ما قوله لا يبع حاضر لباد ؟ قال : لا يكون سمساراً (١) .

ولنذكر هنا شيئاً مما كتبه ابن حجر في فتح الباري عند شرح هذا الحديث قال :

« وفي هذا التفسير تعقب على من فسر الحاضر بالبادي بأن المراد نهي الحاضر أن يبيع للبادي زمن الفلاء شيئاً يحتاج إليه أهل البلد ، فهذا مذكور في كتب الحنفية . وقال غيرهم : صورته أن يجيء البلد غريب بسلعته يريد بيعها بسعر الوقت في الحال ، فيأتيه بلديٌ فيقول له : ضعه عندي لأبيعه لك على التدريج بأغلى من هذا السعر ، فجعلوا الحكم منوطاً بالبادي ومن شاركه في معناه. قال : وإنما ذكر البادي في الحديث لكونه الغالب ، فألحق به من

---

(١) البخاري : ٢٧/٣ .

يشاركه في عدم معرفة السعر الحاضر وإضرار أهل البلد بالإشارة عليه بأن لا يبادر بالبيع . وهذا تفسير الشافعية والحنابلة . وجعل المالكية البداوة قيداً ، وعن مالك : لا يلتحق بالبدوي في ذلك إلا من كان يشبهه . قال : فأما أهل القرى الذين يعرفون أثمان السلع والأسواق فليسوا داخلين في ذلك . قال ابن المنذر : اختلفوا في هذا النهي فالجمهور أنه على التحريم بشرط العلم بالنهي وأن يكون المتاع المجلوب مما يحتاج إليه ، وأن يعرض الحضري ذلك على البدوي ، فلو عرضه البدوي على الحضري لم يمنع . وزاد بعض الشافعية عموم الحاجة ، وأن يظهر ببيع ذلك المتاع السعة في تلك البلد . . . (١) » .

المسألة الخامسة عشرة : القسمة عن طريق التخارج :

قال ابن عباس : يتخارج الشريكان وأهل الميراث فيأخذ هذا عيناً وهذا ديناً ، فإن توى لأحدهما لم يرجع على صاحبه (٢) .

المسألة السادسة عشرة : قراءة القرآن للجنب والحائض :

ذهب كثير من الفقهاء إلى أنه لا يجوز للجنب والحائض قراءة شيء من القرآن ولو كلمة بقصد القرآن ، باستثناء ما يسمى بأذكار القرآن كالتسمية والحمد ، واحتجوا على ذلك بجملة من الأحاديث الدالة على المنع من ذلك . وذهب أبو حنيفة إلى أنه يجوز له قراءة ما دون آية ، إذ لا يتحقق الإعجاز إلا بالآية فما فوق .

---

(١) فتح الباري : ٢٥٥/٤ .

(٢) البخاري : ٥٥/٣ . والتوى : هلاك المال .

وحكي عن مالك رضي الله عنه انه يجوز قراءة القرآن للحائض دون الجنب ، لأن أيامها تطول ، فإن منعناها من القراءة نسيت(١).

اما ابن عباس رضي الله عنهما فكان لا يرى بأساً بقراءة القرآن للحائض والجنب .

قال الإمام البخاري في صحيحه : ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأساً(٢) .

وإلى هذا ذهب البخاري رحمه الله والطبري وابن المنذر وداود ، ولم يصح عندهم الأحاديث الدالة على المنع(٣) .

المسألة السابعة عشرة : اقتداء المتوضىء بالمتيمم :

ذهب جمهور العلماء إلى جواز اقتداء المتوضىء بالمتيمم ، وقد امّ ابن عباس وهو متيمم ، وقال ابن قدامة في المغنى : لا أعلم فيه خلافا(٤) . إلا أن صاحب فتح الباري قال عند ذكر البخاري عمل ابن عباس : واشار المصنف بذلك إلى أن التيمم يقوم مقام الوضوء ولو كانت الطهارة به ضعيفة ، لما أمّ ابن عباس وهو متيمم من كان متوضئاً ، وهذه المسألة وافق فيها البخاري الكوفيين

---

(١) انظر نيل الأوطار للشوكاني : ١/٢٢٦ . والمغني لابن قدامة : ١/١٤٠ .

(٢) البخاري : ١/٧٩ .

(٣) انظر فتح الباري : ١/٢٨٠ .

(٤) انظر المغني لابن قدامة: ٢/١٨٦ . وصحيح البخاري: ١/٨٨.

والجمهور ، وذهب بعضهم من التابعين وغيرهم إلى خلاف ذلك ، وحجتهم أن التيمم طهارة ضرورية لاستباحة الصلاة قبل خروج الوقت ، ولذلك أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الذي أجنب فلم يصل الإناء من الماء ليغتسل به بعد أن قال له : عليك بالصعيد فإنه يكفيك ؛ لأنه وجد الماء فبطل تيممه(١) .

المسألة الثامنة عشرة : رأيه في ان الفخذ عورة :

ذهب ابن عباس إلى ان الفخذ عورة لا يجوز كشفها ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على رجل وفخذه خارجة فقال : غطّ فخذيك فإن فخذ الرجل من عورته . رواه احمد والبخاري تعليقاً ، وروى جرهدٌ الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : غطّ فخذك فإن الفخذعورة ، رواه مالك واحمدوابوداود والترمذي ، وإلى هذا ذهب الشافعي وابو حنيفة ، وقال النووي : ذهب أكثر العلماء إلى أن الفخذ عورة .

وذهب احمد ومالك وابن جرير واهل الظاهر إلى أن العورة القبل والدبر فحسب ، واحتجوا على ذلك بما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً كاشفاً عن فخذه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو علىحاله ، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على حاله ، ثم استأذن عثمان فأرخىعليه ثيابه ، فلما قاموا قلت : يارسول الله استأذن أبو بكر وعمر فأذنت لهما وأنت على حالك ، فلما استأذن عثمان ارخيت عليك ثيابك ، فقال : « يا عائشة الا أستحيي من رجل ـ والله ـ إن الملائكة لتستحيي منه » . رواه احمد .

---

(١) انظر فتح الباري : ٣٠٥/١ .

وبما رواه انس ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر حسر الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذه . رواه البخاري .

وقال البخاري في ذلك : حديث انس اسند ، وحديث جرهد احوط (١) .

المسألة التاسعة عشرة : الترخيص في ترك الجمعة في اليوم الماطر وفي الطين :

كان يرى ابن عباس انه لا يجب الحضور إلى الجمعة إذا كان مطر او طين يشق بسببه الحضور إلى الصلاة .

روى البخاري في صحيحه : ان ابن عباس قال لمؤذنه في يوم مطير : إذا قلت أشهد أن محمداً رسول الله فلا تقل حيَّ على الصلاة ، قل : صلوا في بيوتكم ، فكأن الناس استنكروا ، قال : فعله من هو خير مني ، إن الجمعة عزمة ، وإني كرهت أن أحرجكم فتمشون في الطين والدحض(٢) . إن الجمعة عزمة : اي الدعاء إليها عزيمة : يوجب الإجابة على من سمع . وورد في بعض الروايات : إنها عزمة : اي كلمة المؤذن حي على الصلاة والدحض : الزلق .

---

(١) انظر في هذا البحث نيل الأوطار : ٦٢/٢ فما بعدها وفتح الباري : ٣٢٦/١ .

(٢) انظر البخاري : ١٥٣/١ و ٢١٦/١ وانظر فتح الباري عند شرحه الحديث .

المسألة العشرون : الجهر بالذكر عقب الصلاة :

روى البخاري ان ابن عباس قال : إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال أيضا : كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعته(١) .

المسألة الحادية والعشرون : استلام أركان الكعبة :

كان ابن عباس يرى أن لا يستلم من الكعبة إلا الركنان اليمانيان فقط ، وهذا هو ما ذهب إليه الجمهور ، وذهب جمع من الصحابة والتابعين إلى استلام جميع الأركان ، وكان ممن يرى استلام جميع الأركان معاوية رضي الله عنه .

روى البخاري أن معاوية كان يستلم الأركان ، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : إنه لا يُستلم هذان الركنان ، فقال : ليس شيء من البيت مهجوراً(٢) .

وعند غير البخاري فقال له ابن عباس : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقال معاوية : صدقت(٣) . والاستلام : اللمس باليد أو بالتقبيل أو بعصا .

المسألة الثانية والعشرون : نجاسة الميت :

كان ابن عباس يرى أن المؤمن لا ينجس بالموت . وإلى هذا

---

(١) رواه البخاري : ١/٢٠٤ .

(٢) البخاري : ٢/١٦٢ .

(٣) فتح الباري : ٣/٣٠٨ .

ذهب جمع من العلماء ، منهم : الإمام الشافعي . وقد قال ابن عباس : المسلم لا ينجس حياً ولا ميتاً .

وذهب فريق من العلماء ، منهم الحنفية والمالكية إلى نجاسة الميت إلا أنه إذا غسل حكم بطهارته تكريماً له(١) .

المسألة الثالثة والعشرون : تعذيب الميت ببكاء أهله عليه :

كان عمر وابنه رضي الله عنهما يريان أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، بينما ابن عباس كان يرى أن ذلك لا يكون لما فيه من المؤاخذة بفعل الغير ، وإلى هذا ذهبت عائشة وجمهور من العلماء وجماعة الشافعية(٢) .

روى البخاري عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيكة قال : توفيت ابنة لعثمان رضي الله عنه بمكة ، وجئنا لنشهدها ، وحضرها ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما . وإني لجالس بينهما ، أو قال: جلست إلى أحدهما ، ثم جاء الآخر فجلس إلى جنبي ، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لعمرو بن عثمان : ألا تنهى عن البكاء ؟ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه . فقال ابن عباس رضي الله عنهما : قد كان عمر رضي الله عنه يقول بعض ذلك ، ثم حدّث فقال : صدرت مع عمر رضي الله عنه من مكة حتى إذا كنا بالبيداء إذا هو بركب تحت ظل سَمُرة ، فقال : اذهب فانظر من هؤلاء الركب ، قال : فنظرت فاذا صهيب فأخبرته فقال:ادعدلي ، فرجعت إلى صهيب فقلت : ارتحل

---

(١) انظر فتح الباري : ٨٢/٣ . وبدائع الصنائع : ٢٩٩/١ .
(٢) انظر نيل الأوطار : ١٠٣/٤ .

فالحق بأمير المؤمنين ، فلما أصيب عمر دخل صهيب يبكي يقول : واخاه واصاحباه ، فقال عمر : ياصهيب اتبكي عليّ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الميت ليعذب ببعض بكاء اهله عليه ؟ قال ابن عباس رضي الله عنه : فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت : يرحم الله عمر ، والله ما حدّث رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله ليعذب المؤمن ببكاء اهله عليه ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه ، وقالت : حسبكم القرآن « ولا تزر وازرة وزر أخرى » قال ابن عباس رضي الله عنهما عند ذلك : والله هو أضحك وابكى . قال ابن ابي مُلَيكة : والله ما قال ابن عمر رضي الله عنهما شيئاً (١) .

المسألة الرابعة والعشرون : نية الحج في غير أشهر الحج :

أشهر الحج هي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة . فإذا نوى الإنسان الحج في هذه الأشهر كانت نيته صحيحة باتفاق .

وقد اختلف في الإهلال بالحج في غير أشهر الحج ، فروي عن مالك وأبي حنيفة جواز الدخول بالحج في جميع أشهر السنة كلها . وحجتهم في ذلك قوله تعالى : « يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج » .

وقال عطاء ومجاهد وطاووس والأوزاعي : من أحرم بالحج قبل أشهر الحج لم يُجزه ذلك عن حجه ويكون عمرة ، وبهذا قال الشافعي وأبو ثور .

---

(١) البخاري : ٢/٨٠ ـ ٨١ .

وذهب ابن عباس إلى أن اشهر الحج ـ كما ذكرنا ـ هـي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، فلا يصح الإحرام بالحج في غير هذه الأشهر (١) .

قال ابن عباس : من السنة أن لا يحرم بالحج إلا في أشهر الحج (٢) .

وروى ابن جرير عن ابن عباس قوله : «الحج أشهر معلومات» وهن شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة جعلهن الله سبحانه للحج ، وسائر الشهور للعمرة ، فلا يصلح أن يحرم بالحج إلا في أشهر الحج ، والعمرة يحرم بها في كل شهر (٣) .

المسألة الخامسة والعشرون : هل الخلع طلاق :

يذهب ابن عباس إلى أن الخلع فداء وليس بطلاق . وكان يتأول الآية « الطلاق مرتان » ويقول ذكر الله الطلاق في أول الآية ، والفداء في وسطها ، وذكر الطلاق بعدها ، فالفداء ليس بطلاق ، وإنما هو فداء .

وإلى هذا ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه(٤) . وذهب غير واحد من العلماء ومنهم الشافعي إلى أنه طلاق بائن ، فلا يمكن العود إليها إلا بعقد ومهر جديدين(٥) .

---

(١) انظر تفسير القرطبي : ٢/٤٠٦ .
(٢) البخاري : ٢/١٥٠ .
(٣) تفسير ابن جرير الطبري : ٤/١١٥ .
(٤) إعلام الموقعين : ١/١٩٥ .
(٥) انظر البحث مفصلاً في نيل الأوطار : ٦/٢٤٩ .

المسألة السادسة والعشرون : ثبوت حق الشفعة للجار :

الشفعة : انتقال حصة شريك إلى شريك كانت قد انتقلت إلى أجنبي بمثل العوض المسمَّى . يذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن حق الشفعة لا يثبت إلا للشريك ، وأما الجار فليس له حق الشفعة . وهذا القول هو المنقول عن علي وعمر وعثمان وسعيد ابن المسيب وسليمان بن يسار وعمر بن عبد العزيز والأوزاعي .

وإليه ذهب الإمام الشافعي ومالك وأحمد رحمهم الله جميعاً ، واحتجوا لما ذهبوا إليه بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل ما لم يقسم فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة . رواه البخاري .

وذهب جملة من الفقهاء منهم الحنفية إلى أن حق الشفعة يثبت للجار كما يثبت للشريك ، واحتجوا بحديث : « جار الدار أحق بالدار من غيره » . رواه أحمد وابو داود والترمذي(١) .

المسألة السابعة والعشرون : رأيه في اقل مدة الحمل :

كان ابن عباس رضي الله عنه يرى أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، أخذاً من قوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً » مع قوله : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين » .

روي أن عثمان قد أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر ، فأراد أن يقضي عليها بالحدّ حتى ذكره ابن عباس فأقرّ به (٢) .

---

(١) انظر نيل الأوطار : ٥/٣٣٠ واعلام الموقعين : ٢/٩٣ .
(٢) اعلام الموقعين : ١/٣٠٧ .

وفي تفسير القرطبي أن الذي ذكره بذلك هو علي رضي الله عنـه(١) .

المسألة الثامنة والعشرون : عدة الحامل المتوفى عنها زوجها:

كان ابن عباس رضي الله عنهما يرى أن المتوفى عنهـا زوجها إذا كانت حاملاً عدتها أبعد الأجلين ، عملاً بالعموم في الآيتين وهما قوله تعالى : « والذين يتوفون منكـم ويذرون أزواجـاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » وقوله تعالى : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » . وإلى مثل ذلك ذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

بينما ذهب الجمهور إلى أن عدتها تنتهي بوضع الحمل ، وأن الآية الثانية مخصصة للآية الأولى .

وقد أوضح هذا التخصيص ما رواه البخاري : « أن امرأة من أسلَم يقال لها سبيعة كانت تحت زوجها ، توفي عنها وهي حبلى، فخطبها أبو السنابل بن بعكك ، فأبت أن تنكحه ، فقـال : والله ما يصلح أن تنكحيه حتى تعتدّي آخر الأجلين ، فمكثت قريباً من عشر ليالٍ ثم جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انكحي(٢)» .

ونقل عن ابن عباس رضي الله عنه انه رجع عن هذا القول(٣).

---

(١) تفسير القرطبي : ١٦/١٩٣ .

(٢) قال لها أبو السنابل ذلك عندما رآها قد تجملت لغيره من الخطاب ، وانظر في هذا الموضوع كتابنا أثر الاختلاف في القواعد الأصولية .

(٣) انظر نيل الأوطار : ٦/٢٨٩ .

والذي يظهر أن ابن عباس قد رجع عن فتواه هذه عندما سأل أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

فعن ابي سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده ، فقال : أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس : آخر الأجلين ، قلت انا : « وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن » قال أبو هريرة : انا مع ابن أخي (يعني أبا سلمة) فأرسل ابن عباس غلامه كريباً إلى أم سلمة يسألها ، فقالت : قتل زوج سُبيعة الأسلمية وهي حبلى ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أبو السنابل فيمن خطبها(١) .

المسألة التاسعة والعشرون : رأيه في التصوير :

عن سعيد بن أبي الحسن قال : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال : ياأبا عباس ، إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي ، وإني أصنع هذه التصاوير ، فقال ابن عباس : لا احدثك إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعته يقول : من صوّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ، وليس بنافخ فيها أبداً ، فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه ، فقال : ويحك إن أبيت إلا ان تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح(٢) .

---

(١) البخاري : ٦٧/٦ .

(٢) البخاري : ٤١/٣ . وربا الرجل اي أصابه الربو ، وهو مرض يعلو منه النفس ويضيق الصدر ، او ذعر وامتلأ خوفاً ، او انتفخ .

وبعد : فما هي هذه الصورة ذات الروح التي نهى ابن عباس عن تصويرها ؟ .

لقد اختلف العلماء في الصور المحرمة على آراء ، إليك بيانها :

قال النووي : قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم ، وهو من الكبائر ، لأنه متوعد عليه بالوعيد الشديد المذكور في الأحاديث ، وسواء صنعه لما يمتهن أو لغيره ، فصنعته حرام بكل حال ، لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى ، وسواء ما كان في ثوب أو بساط اودرهم او دينار أو فلس، وإناء وحائط وغيرها ، واما تصوير صورة الشجر وجبال الأرض وغير ذلك مما ليس فيه صورة حيوان فليس بحرام . هذا حكم نقش التصوير .

وأما اتخاذ ما فيه صورة حيوان فإن كان معلقاً على حائط او ثوباً او عمامة او نحو ذلك مما لا يعدّ ممتهناً فهو حرام . وإن كان في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام .

ولا فرق في ذلك كله بين ماله ظل وما لا ظل له . هذا تلخيص مذهبنا في المسألة .

وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ممن بعدهم . وهو مذهب الثوري ومالك وابي حنيفة وغيرهم .

وقال بعض السلف : إنما ينهى عما كان له ظل ، ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل .

وقال آخرون : يجوز منها ما كان رقماً في ثوب ، سواء أمتهن أم لا، سواء علق في حائط ام لا . وهومذهب القاسم بن محمد .

واجمعوا على منع ما كان له ظل ووجوب تغييره .

قال القاضي عياض : إلا ما وردفياللعب بالبنات لصغار البنات والرخصة في ذلك . لكن كره مالك شراء الرجل ذلك لابنه(١) .

هذا وقد ذكر العلامة ابن حجر في شرحه على البخاري آراء العلماء فياتخاذالصورناقلاً ذلك عن ابن العربي قال : قالابن العربي:

« حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرم بالاجماع ، وإن كانت رقماً فأربعة أقوال :

الأول : يجوز مطلقاً على ظاهر قوله في حديث الباب : « إلا رقماً في ثوب ».

الثاني : المنع مطلقاً حتى الرقم .

الثالث : إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل فحرام ، وإن قطعت الراس أو تفرقت الأعضاء جاز ، قال:وهذا هو الأصح.

الرابع : إن كان مما يمتهن جاز ، وإن كان معلقاً لم يجز(٢) .

هذا : وهل يدخل في التحريم ما يسمى بالتصوير الشمسي (الفتوغرافي)؟اجاب عنهذا السؤال الشيخ محمد علي السايسفقال:

ولعلك تريد بعد ذلك أنتعرف حكم مايسمى بالتصويرالشمسي (الفتوغرافي) فنقول : يمكنك أن تقول : إن حكمها حكم الرقم في الثوب ، وقد علمت استثناءه نصاً ، ولك أن تقول : إن هذا ليس

---

(١) انظر نيل الأوطار : ١٠٢/٢ باب اللباس .

(٢) انظر فتح الباري : ٣٠٢/١٠ .

تصويراً ، بل حبس للصورة ، وما مثله إلا كمثل الصورة في المرآة . لا يمكنك ان تقول : إن ما في المرآة صورة ، وإن احداً صورها ، والذي تصنعه آلة التصوير هو صورة لما في المرآة . غاية الامر أن مرآة الفتوغرافية تثبت الظل الذي يقع عليها، والمرآة ليست كذلك ، ثم توضع الصورة أو الخيال الثابت في (العفريتة) في حمض خاص فيخرج منه عدة صور ، وليس هذا بالحقيقة تصويراً ، فإنه إظهار واستدامة لصورة موجودة، وحبس لها عن الزوال، فإنهم يقولون: إن صور جميع الأشياء موجودة ، غير أنها قابلة للانتقال بفعل الشمس والضوء ، ما لم يمنع من انتقالها مانع ، والحمض هو ذلك المانع .

ومادام في الشريعة فسحة بإباحة هذه الصور كاستثناء الرقم في الثوب فلا معنى لتحريمها ، خصوصاً وقد ظهر أن الناس قد يكونون في أشد الحاجة إليها(١) .

المسألة الثلاثون : رأيه فيمن يجد شيئاً كالمني خرج منه عقب البول :

عن مجاهد قال : بينما نحن جلوس أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما ــ عطاء وطاووس وعكرمة ــ إذ جاء رجل، وابن عباس قائم يصلي ، فقال : هل من مفتٍ ؟ فقلت : سل ، فقال : إني كلما بلت تبعه الماء الدافق ، فقلنا : الذي يكون منه الولد ؟ قال : نعم، فقلنا: عليك الغسل ، فولى الرجل وهو يرجّع ، وعجل ابن عباس في صلاته ، فلما سلم قال : ياعكرمة عليَّ بالرجل ، فأتاه به ثم اقبل

---

(١) تفسير آيات الأحكام للسايس : ٦١/٤ .

علينا فقال: ارايتم ما افتيتم به هذا الرجل ؟ عن كتاب الله؟ قلنا:لا، قال : فمن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : لا ، قال : فمن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : لا ، قال : فمن من ؟ قلنا : عن رأينا فقال : لذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد » ثم اقبل على الرجل فقال : أرأيت إذا كان منكهل تجد شهوةفي قلبك؟ قال: لا ، قال : فهل تجد خدراً في جسدك ؟ قال : لا ، قال : إنما هذا بردة يجزيك منها الوضوء(١) .

الوطء الحرام هل يحرم الحلال :

قال عكرمة عن ابن عباس : إذا زنى بأخت امرأته لم تحرم عليه امرأته . قال عكرمة عن ابن عباس : إذا زنى بها فلا تحرم عليه امرأته(٢) . وهذه المسألة التي افتى فيها ابن عباس بالحل هي مسألة خلافية ، اختلفت فيها آراء العلماء واليك تفصيل الآراء في ذلك :

اتفق الفقهاء على أن الأب إذا عقد على امراة حرم على ابنه الزواج منها ، سواء أدخل بها الأب ام لم يدخل ، لا يوجد في ذلك خلاف بين المسلمين . غير انهم اختلفوا فيمن زنى بها الأب اتحرم على الابن كما حرمت عليه زوجته، فيكون الوطء المحرم ناشراً للحرمة ام لا تحرم فيكون الوطء المحرم غير ناشر لها ؟

---

(١) حياة الصحابة : ٣/٦٤٩ ــ ٦٥٠ .

(٢) البخاري : ٦/١٢٦ ــ ١٢٧ .

ذهب الشافعي ومالك في الموطأ إلى أن الوطء الحرام لا يحرم الحلال ، فلا تحرم امرأة زنى بها الأب ، وبمثل ما قالا قال سعيد ابن المسيب ، ويحيى بن يعمر ، وعروة ، والزهري ، وأبو ثور ، وابن المنذر .

قال الشافعي في الأم: فإن زنى بامرأة ابيه أو ابنه أو أم امرأته، فقد عصى الله تعالى ، ولا تحرم عليه امرأته ، ولا على أبيه ، ولا على ابنه امرأته ، لو زنى بواحدة منهما، لأن الله عز وجل إنما حرم بحرمة الحلال تعزيزاً لحلاله ، وزيادة في نعمته ، بما أباح منه ، بأن أثبت به الحرم التي لم تكن قبله ، واوجب بها الحقوق، والحرام خلاف الحلال .

وفي الموطأ قال مالك : فأما الزنى فإنه لا يحرم شيئاً من ذلك لأن الله تبارك وتعالى قال:« وامهات نسائكم » فإنما حرم ما كان تزويجاً ولم يذكر تحريم الزنى، فكل تزويج على وجه الحلال يصيب صاحبه امرأته ، فهو بمنزلة التزويج الحلال ، فهذا الذي سمعت والذي عليه أمر الناس عندنا .

وقال مالك في الرجل يزني بالمراة فيقام عليه الحد فيها : إنه ينكح ابنتها ، وينكحها ابنه إن شاء ، وذلك انه أصابها حراماً ، وإنما الذي حرم الله ماأصاب بالحلال، أو على وجه الشبهة بالنكاح.

وذهب أبو حنيفة وأحمد إلى أن الوطء الحرام يحرم الحلال، فلا يحل له أن يتزوج بمن وطئها أبوه بالزنى ، وبمثل ما قالا قال الحسن ، وعطاء، وطاووس، ومجاهد ، والشعبي، والنخعي، والثوري ، وإسحاق . وروي نحو ذلك عن عمران بن حصين(1) .

---

(1) انظر « أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء » ص ٧٩/٧٨ للمؤلف .

وبعد :

فهذا قليل من كثير من فقه ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، ولا عجب أن يكون له كل هذا الفقه ، وأن يكون مرجعاً للصحابة رضي الله تعالى عنهم في كثير من الأمور الفقهية . فلقد أثنى عليه صلى الله عليه وسلم ، وكان الرسول قد كشف له الغيب فقال : « إن حَبْر هذه الأمة ابن عباس »(1) .

---

(1) سير النبلاء : ٢٢٨/٣ .

ابن عبّاس والتفسير

ترجمان القرآن :

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الأربعة ،وابن مسعود ،وابن‌عباس، وأبيّ بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن الزبير . أما الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم : علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، والرواية عن الثلاثة قليلة جداً ، وكان السبب في ذلك تقدّم وفاتهم .

روى معمر عن‌وهب بن عبد الله بن أبي الطفيل قال : «شهدت علياً رضي الله عنه يخطب ويقول : سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم . وسلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ؟ أفي سهل أم في جبل(1) » .

ومهماقلنافي شأن المفسرين من أصحاب رسول‌الله صلى‌الله‌عليه وسلم فمما لا شك فيه أن ابن عباس رضي الله عنه قد برع في كتاب الله وتفسيره ، وبلغ فيه شأواً لم يبلغه غيره من أصحاب رسول‌الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أصبح جديراً بأن يسمى بحق ترجمان القرآن .

قال ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس .

---

(1) انظر مناهل العرفان : ٤٨٢/١ .

ولقد كان ابن عباس يتقن تفسير القرآن كله ، فلا يفوته منه شيء .

قال ابن أبي مليكة : رايت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه ، فيقول له ابن عباس : اكتب ، قال : حتى سأله عن التفسير كله .

وعن مجاهد قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها(١) .

ممن أخذ التفسير :

ولسائل أن يسأل ــ كما سأل في الفقه ــ ومن اين حاز ابن عباس هذا العلم الجم في القرآن الكريم ، والفترة التي قضاها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ــ كما قدمنا ــ فترة قصيرة لا تتسع لكل هذه المعرفة التي يضطلع بها ابن عباس ؟

وللجواب عن هذا نقول : إن التفسير عند ابن عباس قد حازه من اربعة مصادر :

أحدها : ما كان قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربما كان هذا نزراً يسيراً بالنسبة لما يأتي من المصادر .

مثال ذلك ما ورد عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : « وقالوا اتخذ الله ولداً » .

---

(١) تفسير الطبري : ١/٩٠ .

روى نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله : كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ، فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن اعيده كما كان ، وأما شتمه إياي فقوله لي ولد ، فسبحاني أن اتخذ صاحبة أو ولداً(١) .

ثانيهما : ما تلقاه عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده ، ولقد مرَّ بك ان ابن عباس كان يتردد على أولي العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستقي من معين علمهم، ويتحمل في ذلك قسوة الحرّ والبرد على ابوابهم ، فلا غرو انه كان من البدهي أن يتلقف عنهم كثيراً من معاني كتاب الله الكريم . واشهر من تلقى عنه التفسير من الصحابة علي بن ابي طالب كرّم الله وجهه ، قال ابن عباس : « ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب(٢) » وكذلك عمر رضي الله عنه .

ففي البخاري عن ابن عباس قال : قال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيم ترون هذه الآية نزلت ؟ « أيود أحدكم ان تكون له جنة » قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر ، فقال : قولوا: نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ، قال عمر : يا ابن اخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلا لعمل ، قال عمر : أي عمل ؟ قال ابن عباس : لعمل ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عزّ وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق عمله(٢) .

---

(١) البخاري : ١٤٩/٥ .
(٢) مناهل العرفان : ٤٨٦/١ .
(٣) البخاري : ١٦٤/٥ .

ثالثهما : معرفته الواسعة وعلمه الجم باللغة العربية ، فلقد كان ـ رضي الله عنه ـ ذا معرفة عالية في اللغة العربية وآدابها وعلومها.

ولقد مرّ بك قول عطاء : ما رايت مجلساً اكرم من مجلس ابن عباس ، ولا اكثر فقهاً ، ولا اعظم هيبة ، أصحاب القرآن يسألونه ، واصحاب العربية يسألونه ، واصحاب الشعر يسألونه ، فكلهم يصدر عن وادٍ واسع .

ولقد مرّ بك أيضاً قول عبد الله بن عتبة في ابن عباس : وما رايت احداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا افقه في راي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا تفسير للقرآن ، ولا بحساب ولا فريضة منه .

رابعها : التفسير بالمقتضى من معنى الكلام ، والمقتضب من قوة الشرع ، وهذا النوع من التفسير هو الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» .

وهذا هو الذي عناه علي بقوله : إلا فهماً يُؤتاه الرجل في القرآن(١) .

روى البخاري عن أبي جحيفة رضي الله عنه قال : قلت لعلي رضي الله عنه : هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله عز وجل؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت : وما في الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر(٢) .

---

(١) انظر تفسير محاسن التأويل للقاسمي : ٨/١ .
(٢) البخاري : ٣٠/٤ .

وهذا المنهج الذي سلكه ابن عباس في التفسير هو المنهج الصحيح الذي يتوصل به إلى معرفة كتاب الله عز وجل على الوجه الصحيح ، إذ إن ما يستطيع الناس فهمه من كتاب الله ، مما لم يستأثر الله بعلمه ، ليس له إلا طريق النقل إن وجد في ذلك نقل صحيح ، أو الرجوع الى اللغة العربية التي أنزل القرآن الكريم بها أو إعمال العقل مستعيناً بمقاصد الشريعة واهدافها . وأما ما عدا ذلك من الرجوع إلى الراي المحض ، أو الهوى المنحرف ، فهذا لا يعدّ من التفسير في شيء ، وهذا النوع من التفسير هو النوع الذي جاء ذم الشارع له بقوله فيما رواه ابن عباس : « من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار(١) » .

وقد تحدث ابن عباس نفسه عن أوجه التفسير فقال : التفسير على اربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره(٢) .

ابن عباس والأخذ عن اهل الكتاب :

لقد كان ابن عباس رضي الله عنه يكره أن يأخذ عن أهل الكتاب شيئاً ، وكان يكره مسألتهم ، وينهى الناس عن سؤالهم ، ويكتفي بما ورد في القرآن الكريم من اخبار الأمم السابقة وغير ذلك .

فعن عبيد الله بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر في تخريج هذا الحديث حاشية تفسير الطبري : ٧٧/١.
(٢) تفسير الطبري : ٧٥/١ .

أحدث ؟! تقرؤونه محضا لم يُشب . وقد حدثكم أنّ أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه ، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشتروا بـه ثمناً قليلاً ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلاً يسألكم عن الذي أنزل عليكم .

ولعلّ في هذا الخبر الصحيح ما يدرأ كثيراً من الإسرائيليات التي يدّعي ناقلوها أنهم قد نقلوها عن ابن عباس رضي الله عنهما .

تفسير ابن عباس وطرق الرواية عنه :

لقد ألف الإمام محمدبن يعقوب الفيروزأبادي صاحب القاموس كتاباً أسماه « تنوير المقباس من تفسير ابن عباس » ورواية هذا التفسير تدور على محمد بن مروان الملقب « بالسُدّي الصغير » عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

وهذه الطريق ليست بمعتمدة عند أهل العلم . ولقد تحدث الإمام الذهبي عنها في كتابه « ميزان الاعتدال » فقال :

محمد بن مروان السُدّي الكوفي ، وهو السدّي الصغير . يروي عن هشام بن عروة عن الأعمش .

تركوه واتهمه بعضهم بالكذب . وهو صاحب الكلبي .

قال البخاري : سكتوا عنه . وهو مولى الخطابيين . ولايكتب حديثه البتة .

وقال ابن معين : ليس بثقة . وقال أحمد : أدركته وقد كبر فتركته(١) .

---

(١) ميزان الاعتدال : ٣٢/٤ .

ومن هنا نستطيع القول : إن ما وجد في هذا التفسير لا يمكن أن يؤخذ بعين القبول إلا بعد تمحيصه ووروده من طرق أخرى يطمأن إليها .

هذا وقد ذكر العلماء الطرق التي بها نقل شيء من التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما وبينوا صحيحها من ضعيفها ، وقويها من سقيمها ، فمن أشهر الطرق عنه :

١ - طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس . وهذه أجود الطرق عنه ، وفيها قال الإمام أحمد : « إن بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصداً ما كان كثيرا » .

وقال الحافظ ابن حجر : « وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهي عند البخاري عن أبي صالح، وقد اعتمد عليها في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس .

٢ - طريق قيس بن مسلم الكوفي عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . وهذه الطريق الصحيحة على شرط الشيخين .

٣ - طريق ابن اسحق صاحب السيَر ، عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس . وهي طريق جيدة وإسنادها حسن .

٤ - طريق إسماعيل بن عبد الرحمن السدّي الكبير ، تارة عن أبي مالك، وتارة عن أبي صالح عن ابن عباس، واسماعيل السدّي مختلف فيه، وهو تابعي شيعي ، قال السيوطي : روى عن السدّي الأئمة مثل الثوري وشعبة ، لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر ، وأسباط لم يتفقوا عليه ، غير أن أمثل التفاسير تفسير السدّي .

٥ ـ طريق عبد الملك بن جريج، عن ابن عباس . وهذه الطريق تحتاج الى دقة في البحث ، فإن ابن جريج روى ما ذكر في كل آية من الصحيح والسقيم .

٦ ـ طريق الضحاك بن مزاحم الهلالي عن ابن عباس . وهي طريق غير مقبولة لأن الضحاك مختلف في توثيقه . وطريقه إلى ابن عباس منقطعة ، لأنه لم يلقه فإن انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك فضعيفة ؛ لضعف بشر .

٧ ـ طريق عطية العوفي عن ابن عباس . وهي غير مقبولة . لأن عطية ضعيف .

٨ ـ طريق مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني . ومقاتل ضعيف ، يروي عن مجاهد وعن الضحاك ولم يسمع منهما . وقد كذبه غير واحد ، ولم يوثقه أحد ، واشتهر عنه التجسيم والتشبيه . وقال أحمد بن حنبل : « لا يعجبني أن أروي عن مقاتل بن سليمان شيئاً » .

٩ ـ طريق محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس . وهذه أوهى الطرق ، والكلبي مشهور بالتفسير ، وقد قيل فيه : اجمعوا على ترك حديثه وليس بثقة ، ولا يكتب حديثه ، واتهمه جماعة بالوضع ، ولذا قال السيوطي في الاتقان : فإن انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدّي الصغير عنه فهي سلسلة الكذب(١) .

---

(١) انظر كتاب مباحث في علوم القرآن للأستاذ مناع القطان : (٣١٣ ـ ٣١٤) وانظر مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني : (١/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥) .

وقال ابن أبي الحواري عن يحيى بن معين : بالعراق كتاب ينبغي أن يدفن . وبالشام كتاب ينبغي أن يدفن. فأما الذي بالعراق فكتاب التفسير عن ابن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وأما الذي بالشام فكتاب الديات لخالد بن يزيد بن أبي مالك ، لم يرض أن يكذب على ابيه حتى كذب على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] .

ومن هذا العرض يتضح لك مقدار صحة هذا التفسير المنسوب الى ابن عباس رضي الله عنه . ولذلك لم نعول فيما نقلنا من التفسير عن ابن عباس على هذا الكتاب . بل توخينا أن ننقل ذلك من أمهات مصادر الحديث والتفسير ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً ، وعزونا كل تفسير الى المصدر المنقول منه .

نماذج مما نقل عنه من التفسير :

الواقع أنه قلّما تمرّ آية في كتاب الله ، إلا ولابن عباس تفسير لها ، يعلم هذا من له إلمام واطلاع على التفاسير ، وخاصة التفاسير التي تلتزم أن تفسّر القرآن بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أحد من صحابته ، وكيف لا يكون لابن عباس في كل آية تفسير وقد مرّ بك آنفاً قول ابن أبي مليكة : رايت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ، ومعه الواحه ، فيقول له ابن عباس : اكتب . قال : حتى سأله عن التفسير كله . وقول مجاهد : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته الى خاتمته ، أوقفه عند كل آية منه واسأله عنها .؟ لذلك كان من

(١) تهذيب التهذيب : ١٢٦/٣ ــ ١٢٧ .

العسير أن ننقل لك في هذه العجالة جميع ماروى عن ابن عباس في تفسير كتاب الله الكريم .

غير أن ذلك لا يعفينا من أن نذكر بعض ما روي عن ابن عباس في التفسير ، على سبيل التمثيل ، لتتكامل الدراسة عنه في هـذا المضمار ، ونلتزم إن شاء الله ما نقل عنه نقلا صحيحاً ، سواء أكان ذلك في صحيح البخاري أو غيره من الكتب ، وإليك هذه النماذج.

١ ـ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين :

عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، قال ابن عباس : ليست بمنسوخة ، هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لايستطيعان أن يصوما فليطعما مكان كل يوم مسكيناً « فمن شهد منكم الشهر فليصمه (١) » .

٢ ـ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية ، فتأثموا أن يتَّجروا في الموسم ، فنزلت « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم » في مواسم الحج(٢).

٣ ـ ثم افيضوا من حيث أفاض الناس :

عن ابن عباس قال : تطوّف الرجل بالبيت ما كان حلالا حتى يهلّ بالحج ، فاذا ركب الى عرفة فمن تيسر له هديه من الابل

---

(١) البخاري : ٥/١٥٥ .
(٢) البخاري : ٥/ ١٥٨ .

أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء ، غير أن من لم يتيسر له فعليه ثلاثة أيام في الحج ، وذلك قبل يوم عرفة ، فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه ، ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر الى أن يكون الظلام ، ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى يبلغوا جَمْعاً الذي يبيتون به ، ثم ليذكر الله كثيراً ، وأكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا ، ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون ، وقال الله تعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم » حتى ترموا الجمرة(١). وفي حديث عائشة بيان لمعنى هذه الآية ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة ، وكانوا يسمون الحُمْس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات ، فلما جاء الإسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ، ثم يفيض منها ، فذلك قوله تعالى : « ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس(٢) » .

٤ ـ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى... :

عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : كان في بني اسرائيل القصاص ، ولم تكن فيهم الدِّية ، فقال الله تعالى لهذه الأمة : « كتب عليكم القصاص في القتلى الحرّ بالحرّ والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفي له من أخيه شيء » فالعفو

---

(١) البخاري : ٥/١٥٩ . جمعاً : المزدلفة .

(٢) البخاري : ٥/١٥٨ . الحمس: جمع أحمس وهو الشديد الصلب . سموا بذلك لتصلبهم فيما كانوا عليه .

أن يقبل الدية في العمد ، « فاتّباع بالمعروف واداء إليه بإحسان» يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان، « ذلكتخفيف من ربكم ورحمة » مما كتب على من كان قبلكم ، « فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم » قتل بعد قبول الدية(١) .

٥ ـ لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ... :

عن علقمة بن أبي وقاص أن مروان قال لبوابه : اذهب يارافع الى ابن عباس فقل : لئن كان كل امرىء فرح بما اتى ، واحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبنَّ أجمعون ، فقال ابن عباس : وما لكم ولهذه ؟ إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ، ثم قرأ ابن عباس: وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ، كذلك حتى قوله : يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا(٢) .

وورد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في شأن رجال من المنافقين .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف

---

(١) البخاري : ١٥٤/٥ .

(٢) البخاري : ١٧٤/٥ وتتمة النص : اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس مايشترون. لا تحسبن الذين ... آل عمران: (١٨٧ـ١٨٨).

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه، وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت : لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا(١) .

٦ ـ لا يحلّ لكم ان ترثوا النساء كرهاً :

عن ابن عباس قال : كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامراته ، إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجوها، وإن شاؤوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من اهلها ، فنزلت هذه الآية(٢) .

٧ ـ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان :

قال ابن عباس : الأزلام : القداح يقتسمون بها في الأمور ، والنصب أنصاب يذبحون عليها(٣) .

٨ ـ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين » شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفرّ واحد من عشرة ، فجاء التخفيف فقال : الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين . قال : فلما خفف الله عنهم من العدّة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم (٤) .

---

(١) البخاري : ٥/١٧٤ .
(٢) البخاري : ٥/١٧٨ .
(٣) البخاري : ٥/١٨٩ .
(٤) البخاري ٥/٢٠١ .

٩ ــ الم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً :

عن عطاء : سمع ابن عباس الم تر إلى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً ، قال : هم كفار اهل مكة(١) .

١٠ ــ كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عِضِين :

عن ابن عباس : كما انزلنا على المقتسمين . قال:آمنوا ببعض وكفروا ببعض : اليهود والنصارى .

وعنه : الذين جعلوا القرآن عِضِين . قال : هم اهل الكتاب جَزَّؤوه اجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه(٢) .

١١ ــ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس :

قال ابن عباس : هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به إلى بيت المقدس . قال : والشجرة الملعونة في القرآن : قال هي شجرة الزقوم(٣) .

١٢ ــ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها :

عن ابن عباس في قوله تعالى : « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها » قال : نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفٍ بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبّوا القرآن ومن انزله ، ومن جاء به ، فقال الله لنبيه

---

(١) البخاري : ٥/٢٢٠ .
(٢) البخاري : ٥/٢٢٢ .
(٣) البخاري : ٥/٢٢٧ و ٧/٢١٤ .

صلى الله عليه وسلم : ولا تجهر بصلاتك أي بقراءتك . فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن اصحابك فلا تسمعهم ، وابتغ بين ذلك سبيلاً(١) .

١٣ ـ ومن الناس من يعبد الله على حرف :

قال ابن عباس : كان الرجل يقدم المدينة ، فإن ولدت امرأته غلاماً ونتجت خيله قال : هذا دين صالح ، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال : هذا دين سوء(٢) .

١٤ـ وانذر عشيرتك الأقربين :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت « وانذر عشيرتك الأقربين » صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ، فجعل ينادي يابني فهر ، يابني عدي ، لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش ، فقال : ارايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقي ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : فإني نذيرلكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت تبت يدا أبي لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب(٣) .

١٥ ـ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد :

عن ابن عباس : لرادك إلى معاد : إلى مكة(٤) .

---

(١) البخاري : ٢٢٩/٥ .
(٢) البخاري : ٢٤٢/٥ .
(٣) البخاري : ١٦/٦ ـ ١٧ .
(٤) البخاري : ١٨/٦ .

١٦ – قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله :

عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن ناساً من اهل الشرك كانوا قد قتلوا واكثروا ، وزنوا واكثروا ، فأتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن ، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ، فنزل « والذين لا يدعون مع الله إلـهً آخر ولا يقتلون النفس التي حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون » ونزل « قل ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله(١) » .

١٧ – فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون :

قال المنهال عن سعيد قال : قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ ، قال فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . ولا يكتمون الله حديثاً ، والله ربنا ما كنا مشركين . فقد كتموا في هذه الآية ، وقال : أم السماء بناها إلى قوله دحاها ، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال : ائنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى طائعين . فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء ، وقال تعالى : وكان الله غفوراً رحيماً ، عزيزاً حكيماً ، سميعاً بصيراً ، فكأنه كا نثم مضى .

فقال : فلا أنساب بينهم في النفخة الاولى ، ثم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا انساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

وأما قوله : ماكنا مشركين ، ولا يكتمون الله ، فإن الله يغفر

---

(١) البخاري : ٦/٣٣ . ومسلم : ١/٧٩ .

لأهل الإخلاص ذنوبهم،وقال المشركون:تعالوا نقول لم نكن مشركين. فختم على أفواههم ، فتنطق أيديهم ، فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثاً ، وعنده يود الذين كفروا .. الآية.وخلق الأرض في يومين. ثم خلق السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ، ودحوها ان اخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين . فذلك قوله دحاها وقوله خلق الأرض في يومين ، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة ايام ، وخلقت السموات في يومين . وكان الله غفوراً ، سمّى نفسه ذلك ، وذلك قوله أي لم يزل كذلك ، فإن الله لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراده فلا يختلف عليك القرآن ، فإن كلا من عند الله(1).

١٨ ـ ادفع بالتي احسن :

قال ابن عباس : بالتي هي أحسن : الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة . فإذا فعلوه عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم(2) .

١٩ ـ إلا المودة في القربى :

قال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما : أنه سئل عن قوله : إلا المودة في القربى ، فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس : عجلتَ ، إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيه قرابة ، فقال : إلا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة(3) .

---

(1) البخاري : ٦/٣٥ ـ ٣٦ .
(2) البخاري : ٦/٣٦ .
(3) البخاري : ٦/٣٧ .

٢٠ ـ سيهزم الجمع ويولون الدبر :

عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ـ وهو في قبة له يوم بدر ـ : انشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم ابداً ، فأخذ ابو بكر بيده وقال : حسبك يارسول الله فقد الححت على ربك ـ وهو في الدرع ـ فخرج وهو يقول : سيهزم الجمع ويولون الدبر . بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر(١).

٢١ ـ لاتذرنّ ودًّا ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسرا :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ، أما ودّ كانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سُواع كانت لهذيل،وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصاباً ، وسموها بأسمائهم ، ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عُبدت(٢) .

٢٢ ـ قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن :

عن ابن عباس قال : انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء،وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: مالكم ؟ قالوا:حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب،

---

(١) البخاري : ٥٤/٦ .
(٢) البخاري : ٧٣/٦ .

قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً . يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً . وأنزل الله عزّ وجلّ على نبيه صلى الله عليه وسلم : قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن ، وإنما أوحي إليه قول الجن(١) .

٢٣ ـ إن علينا جمعه وقرآنه :

قال ابن عباس : كان ـ اي النبي صلى الله عليه وسلم ـ يحرك شفتيه إذا انزل عليه ، فقيل له : لا تحرك به لسانك ، يخشى أن يتفلت منه ، إن علينا جمعه وقرآنه أن نجمعه في صدرك ، وقرآنه ان تقرأه ، فاذا قرأناه يقول : انزل عليه ، فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه : أن نبينه على لسانك . وفي رواية : فكان إذا أتاه جبريل اطرق ، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله(٢) .

٢٤ ـ لتركبن طبقاً عن طبق :

قال ابن عباس : لتركبنّ طبقاً عن طبق : حالاً بعد حال . قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم(٣) .

---

(١) البخاري : ٦/٧٣ ـ ٧٤ .
(٢) البخاري : ٦/٧٦ ـ ٧٧ .
(٣) البخاري : ٦/٨١ .

٢٥ ـ إنا أعطيناك الكوثر :

حدث أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه الله إياه . قال أبو بشر لسعيد بن جبير : فإن الناس يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه(١) .

٢٦ ـ الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم :

قال ابن عباس: ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنى ، أدرك ذلك لا محالة : فزنى العين النظر ، وزنى اللسان المنطق ، والنفس تمنّى وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه(٢) . يقصد ابن عباس أن النظر والنطق من اللمم المعفو عنه المستثنى في كتاب الله .

٢٧ ـ ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم ... :

عن ابن عباس : ولكل جعلنا موالي قال: ورثة . والذين عقدت ايمانكم قال: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه ، للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فلما نزلت : ولكل جعلنا موالي نسخت ، ثم قال : والذين عقدت ايمانكم إلا النصر والرفادة والنصيحة ، وقد ذهب الميراث ويوصي له (٣) .

---

(١) البخاري : ٦/٩٣ .
(٢) البخاري : ٧/٢١٤ .
(٣) البخاري : ٣/٥٧ .

٢٨ ـ وإذا حضر القسمة اولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه :

قال ابن عباس : إن ناساً يزعمون ان هذه الآية نسخت ، ولا والله ما نسخت ، ولكنها مما تهاون به الناس ، هما واليان : وال يرث وذاك الذي يَرزق ، ووالٍ لا يرث فذاك الذي يقول بالمعروف ، يقول : لا أملك لك أن أعطيك(١) .

وقد كان ابن عباس يرى أن من لم يستحق إرثاً وحضر القسمة ، وكان من الأقارب أو اليتامى أو الفقراء ، على الورثة أن يكرموهم ولا يحرموهم ، ولو كان العطاء قليلاً ، وهذا هو الأصح عنه . وكان يقول : امر الله المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم ويتاماهم ومساكينهم من الوصية ، فإن لم تكن وصية وصل لهم من الميراث(٢) .

٢٩ ـ كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت إن ترك خيراً الوصية :

قال ابن عباس : كان المال للولد ، وكانت الوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك ما أحب ، فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث ، وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع(٣) .

---

(١) البخاري : ١٩٣/٣ .
(٢) انظر تفسير القرطبي : ٤٩/٥ .
(٣) البخاري : ١٨٨/٣ و ١٧٨/٥ .

٣٠ ــ يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قعد أبو بكر على منبررسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سمي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مدّ يديه ثم وضعهما على المجلس الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عليه من منبره ، ثم قال : سمعت الحبيب وهو جالس على هذا المجلس يتأول هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » ثم فسرها ، فكان تفسيره لنا أن قال : نعم ليس من قوم عمل فيهم بمنكر ، ويفسد فيهم بقبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا حق على الله أن يعمهم بالعقوبة جميعاً ثم لا يستجاب لهم ، ثم أدخل أصبعيه في أذنيه فقال : أن لا أكون سمعته من الحبيب فصُمّتا » (١) .

وقد روى الترمذي هذا الحديث عن غير ابن عباس وبغير هذا الشكل .

ففي الترمذي عن قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال : « أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية : «ياأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم » وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب منه(٢) .

ورواه أيضاً عن قيس أبو داوود إلا أنه قال في أوله : قال أبو بكر بعد أن حمد الله واثنى عليه : يا أيها الناس ، إنكم تقراون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها ...(٣) » .

---

(١) حياة الصحابة : ٣/٢٩٠ .
(٢) الترمذي رقم (٢١٢٩) ورقم (٣٠٥٩) .
(٣) ابو داود في كتاب الملاحم : ٢/٤٣٦ .

٣١ ـ « قل كونوا حجارة او حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم » :

قال ابن اسحاق : حدثني عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سألته عن قول الله تعالى : « أو خلقاً مما يكبر في صدوركم » ما الذي اراد الله به فقال : الموت(١).

وقال القرطبي في معنى الآية بعد ان نقل كلام ابن عباس وغيره : إنكم لو خلقتم من حجارة أو حديد أو كنتم الموت لأميتنكم ولأبعثنكم لأن القدرة التي بها انشأتكم بها نعيدكم . ثم قال : وفي الحديث : يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار(٢) .

٣٢ ـ « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة » :

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تقول : إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يعذب الله الناس في النار بكل الف سنة من ايام الدنيا يوماً واحداً في النار من ايام الآخرة ، وإنما هي سبعة ايام ثم ينقطع العذاب . فانزل الله في ذلك من قوله : « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة . قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون . بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته » أي من عمل بمثل أعمالكم وكفر بمثل ما كفرتم به يحيط كفره بما له عند الله من حسنة « فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » أي خلد أبداً(٣) .

---

(١) سيرة ابن هشام : ٣١٧/١ .
(٢) القرطبي : ٢٧٤/١٠ .
(٣) سيرة ابن هشام : ٥٣٨/١ ـ ٥٣٩ وانظر تفسير القرطبي ١٠/٢ .

٣٣ ـ والذين لا يشهـدون الزور وإذا مرّوا باللغو مرّوا كراماً :

كان ابن عباس يفسر لايشهدون الزوربمشاهدةاعيادالمشركين.

ففي الكامل للمبرد: يروى عنابنعباس في هذه الآية :«والذين لا يشهدون الزور ... »قال : أعياد المشركين . وقال ابن مسعود : الزور الغناء . فقيل لابن عباس : أو ما هذا في الشهادة بالزور ؟ فقال : لا ، إنما آية شهادة الزور « ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا(١) . »

٣٤ ـ ولآمرنهم فليغيرن خلق الله :

قال ابن عباس رضي الله عنه : هو الخصاء(٢) .

٣٥ ـ تفسير لبعض آيات القرآن :

قال المبرد : كان نافع بن الأزرق ينتجع عبد الله بـن عباس فيسأله فلهعنه مسائل من القرآن وغيره ، وقد رجع إليه فيتفسيرها فقبله وانتحله ، ثم غلبت عليه الشقوة ، ونحن ذاكرون منها صدراً إن شاء الله .

حدث أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة عن اسامة ابن زيد عن عكرمة قال : رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة ، فسأله عن قول الله جل ثناؤه : « والليل وما وسق » فقال ابن عباس : وما جمع. فقال:اتعرف ذلك العرب؟قال ابن عباس : اما سمعت قول الراجز:

إن لنـا قلائصـاً حقائقـاً مستوسقات لو يجدن سائقاً

---

(١) شرح الكامل للمرصفي:١٨٦/٧ وانظر القرطبي ٢٥٧/١٠. و ٧٩/١٣ .

(٢) الحيوان للجاحظ : ١٨٠/١ . وانظر تفسيرالقرطبي : ٣٨٩/٥ .

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذي لا يقدح فيه قادح ، يقال : استوسق القوم إذا اجتمعوا .

وسأله عن قوله عز وجل : « قد جعل ربك تحتك سرياً » فقال ابن عباس : هو الجدول . فسأله عن الشاهد فأنشده :

سلما ترى الدالج منها أزورا إذا يعج في السريّ هرهرا

٣٦ ـ تفسير قوله : كونوا ربانيين :

قال ابن عباس : كونوا ربانيين حلماء فقهاء علماء.يقال :الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره(١) .

وسأله أيضاً عن قوله تعالى : « عتل بعد ذلك زنيم » ما الزنيم ؟ قال : هو الدّعي الملزق ، اما سمعت قول حسان بن ثابت:

زنيم تداعاه الرجال زيادة كمازيدفي عرض الأديم الأكارع

وسأله أيضاً عن قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق » قال : الشدة بالشدة . فسأله عن الشاهد فأنشده :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها
وإن شمرت عن ساقها الحرب شمّرا

وسأله عن قوله تعالى : « فلهم أجر غير ممنون » قال ابن عباس : غير مقطوع . فقال هل تعرف ذلك العرب ؟ فقال قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول :

وترى خلفهن من سرعة الرجع منيناً كأنه أهباء(٢) .

وبعد فهذا أيضاً قليل بل أقل من القليل من تفسير ابن عباس للقرآن الكريم انتقيتها من مراجع متعددة ، والشيء الذي رأيته في كتب التفسير بالمأثور أنه قلما تمرّ آية إلا ولابن عباس فيها قول ، فحق أن يدعى «ترجمان القرآن » .

---

(١) البخاري : ١/٢٥ .
(٢) المبرد : ٧/١٥٦ ـ ١٥٩ .

ابن عبّاس والحديث

لقد مرَّ بك أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قد برع في جوانب كثيرة من أصناف العلوم والمعرفة ، ولكن كان أكثر اشتهاراً في ثلاثة علوم هي الفقه والتفسير والحديث .

ولقد تحدثنا فيما مضى عن ناحيتيه الفقهية والتفسيرية ، وفيما يلي : نتحدث عن الجانب الحديثي فيه .

كراهته الإكثار من الحديث :

مما لا شك فيه أن ابن عباس كان من المحدثين البارزين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه على الرغم من ذلك كان يكره الاكثار من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لا يقبل حديثاً إلا بعد تثبت .

روى هشام بن حجير عن طاووس قال : جاء هذا إلى ابن عباس – يعني بُشَيْر بن كعب – فجعل يحدثه ، فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ثم حدثه ، فقال له : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له فقال : ما أدري أعرفت حديثي كله وانكرت هذا ، أم انكرت حديثي كله وعرفت هذا ، فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه.

وعن مجاهد قال : جاء بشير العدوي إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي ؟! أحدثك

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ! فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته ابصارناواصفينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف(١) .

ولقد كان في هذا الاتجاه ينحو نحو عمر بن الخطاب ويسيرعلى سننه ويتقفّى أثره ، فلقد كان عمر يكره الإكثار من الحديث ، وينهى الناس عن الاكثار من رواية الحديث ، حتى إنه قد حبس بعض المكثرين ، وذلك انه كان يخشى من شيوع الرواية ان يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يصدهم التحديث عن القرآن.

على أن عمر رضي الله عنه قد هم بتدوين السنة ، إلا أنه بعد التروي والتشاور رجع عن ذلك خشية أن يؤدي ذلك إلى الانصراف عن كتاب الله إليها .

قال السيوطي في تنوير الحوالك شرح موطأ الإمام مالك : أخرج الهروي في ذم الكلام من طريق الزهري قال : اخبرني عروة ابن الزبير أن عمر بن الخطاب اراد ان يكتب السنن واستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأشار عليه عامتهم بذلك، فلبث شهراً يستخير الله في ذلك شاكاً فيه ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال : إني كنت ذكرت لكم من كتابة السنن ما قد علمتم ، ثم تذكرت فإذا أناس من اهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا البس كتاب الله بشيء ، فترك كتابة السنن .

---

(١) صحيح مسلم ١/١٠. ركب الناس الصعب والذلول : سلك الناس كل مسلك لما يحمد ويذم. لايأذن لحديثه : لايستمع لحديثه.

عدد ماوراه من الاحاديث :

لقد كان ابن عباس مع حرصه على الإقلال من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدّ من الستة المكثرين في الحديث ، والخمسة الباقون هم : ابو هريرة ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وعبد الله بن عمر ، وانس بن مالك ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم .

ولقد بلغ مجموع ما رواه ابن عباس (١٦٦٠) ستون وستمائة والف حديث ، اتفق البخاري ومسلم على خمسة وتسعين حديثاً ، وانفرد البخاري بمائة وعشرين حديثاً ، وانفرد مسلم بتسعة واربعين حديثاً(١) ، وبقية الأحاديث في كتب الحديث الأخرى .

وفي الرياض المستطابة ليحيى بن ابي بكر العامري : روى عبد الله ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثر ، فأخرج له الشيخان مائتين وأربعة وثلاثين حديثاً ، اتفقا على خمسة وسبعين ، وانفرد البخاري بمائة وعشرة ، ومسلم بتسعة وأربعين ، وخرج عنه أصحاب المسانيد والسنن كلهم(٢) .

من اين له كل هذا الحديث :

لقد مرّ بك أن ابن عباس هاجر مع أمه عام الفتح ، وقد كانت غزوة الفتح عام ثمانية ، فلم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حوالي ثلاثين شهراً ، وهنا يتساءل المرء من أين أتى بكل هذه الأحاديث ؟

---

(١) شرح رياض الصالحين لابن علان : ١/٧٣ .

(٢) الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة /١٩٩/ .

إن الناظر في الأحاديث التي رواها ابن عباس لـيرى أنهـا تنقسم إلى اربعة اقسام :

احدها : احاديث سمعها من رسول الله بنفسه وقد صرح بأنه قد سمعها منه .

ثانيها : احاديث يقطع الباحث انه لم يسمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، إلا أن ابن عباس يذكر من رواها عنه مـن الصحابة رضوان الله عليهم .

ثالثها : احاديث يقطع الباحث انه لم يسمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكن ابن عباس يسندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يذكر الصحابي المروي عنه .

رابعها : احاديث يرويها ابن عباس ، ومن المحتمل ان يكون قد سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المحتمل أيضاً انه لم يسمعها ، ولم يبين ابن عباس شيئاً من ذلك .

ونحن فيما يلي نورد لك نماذج من كل قسم من هذه الأقسام الأربعـة :

القسم الأول : مارواه وصرح بسماعه من الرسول عليه الصلاة والسلام :

١ ـ عن عبد الرحمن بن عابس قال : سمعت ابن عباس قيل له : أشهدت العيد مع النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ، ولولامكاني من الصغر ما شهدته ، خرج حتى اتى العَلَم الذي عند دار كثير بن الصلت ، فصلى ثم خطب ، ثم اتى النساء ومعه بـلال ،

فوعظهن وذكرهن وأمرهن بالصدقة ، فرايتهن يهوين بأيديهن يقذفنه في ثوب بلال ، ثم انطلق هو وبلال إلى بيته(١) .

٢ ـ عن أبي معبد قال : سمعت ابن عباس يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يقول : لا يخلونّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم ، فقام رجل فقال : يارسول الله ، إن امرأتي خرجت حاجة ، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ، قال : انطلق فحج مع امرأتك(٢) .

٣ ـ عن ابن عباس قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : عرضت عليّ الأمم فجعل يمرّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان ، والنبي معه الرهط ، والنبي ليس معه أحد، ورايت سواداً كثيراً سدّ الأفق ، فرجوت أن تكون أمتي ، فقيل هذا موسى وقومه ، ثم قيل لي انظر، فرايت سواداً كثيراً سدّ الأفق ، فقيل لي انظر هكذا وهكذا ، فرايت سواداً كثيراً سد الأفق فقيل هؤلاء امتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب . فتفرق الناس ولم يبين لهم ، فتذاكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك ، ولكنا آمنا بالله ورسوله ، ولكن هؤلاء هم ابناؤنا ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هم الذين لا يتطيّرون ولا يكتوون ولا يَسْتَرقون وعلى ربهم يتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال : امنهم انا يارسول الله ؟ قال : نعم ، فقام آخر فقال: امنهم انا؟ فقال :سبقك

---

(١) البخاري :٢/٨٠.قوله: ولولا مكاني من الصغر ماشهدته: اي لولا مكاني منه عليه الصلاة والسلام ما حضرته لأجل صغر سني.
(٢) مسلم : ١٠٤/٤ .

بها عكاشة(1) . فقوله : خرج علينا صريح بأن ابن عباس كان حاضراً هذه الحادثة .

٤ ــ عن ابن عباس قال : قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : إنكم محشورون حفاة عراة « كما بدأنا أول خلق نعيده ... » الآية وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم ، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يارب أصيحابي، فيقول الله : إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ... إلى قوله الحكيم) قال: فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم(2) .

٥ ــ عن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال: ياغلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف(3) .

وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث بصيغة أخرى هي : عن ابن عباس قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

---

(1) البخاري : ٢٦/٧ .
(2) البخاري : ١٩٧/٧ .
(3) رواه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح ٢٠٣/٧ رقم ٢٥١٨ وراه أحمد في مسنده رقم ٢٦٦٩ .

ياغلام او ياغليم ، الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ فقلت : بلى ، فقال : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجدهأمامك ، تَعَرَّف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة ، وإذا سالت فاسال الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، قد جف القلم بما هو كائن ، فلو ان الخلق كلهم جميعاً ارادوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، وإن ارادوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه ، واعلم ان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وان النصر مع الصبر، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا(١) .

٦ ـ قال ابن جريج : قلت لعطاء : ايّ حين احبّ إليك ان اصلي العشاء ، إماماً او خِلواً ؟ قال : سمعت ابن عباس يقول : اعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء ، حتى رقد الناس واستيقظوا ، ورقدوا واستيقظوا ، فقام عمر بن الخطاب فقال : الصلاة ، قال عطاء : قال ابن عباس : فخرج نبي الله صلى الله عليه وسلم كأني انظر إليه الآن يقطر راسه ماءً ، واضع يده على شق راسه ، فقال : لولا ان اشق على امتي لأمرتهم ان يصلوها كذلك(٢) .

وبعد فهذه جملة من الأحاديث قد نصّ ابن عباس رضي الله عنه انه قد سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام مباشرة من غير ذكر واسطة .

---

(١) رواه الإمام احمد في مسنده رقم (٢٨٠٤) .

(٢) رواه الإمام احمد في مسنده رقم (٣٤٦٦) وهو في صحيح البخاري : ١٤٣/١ .

عدد الاحاديث التي رواها مباشرة :

وبعد فكم هي عدة الأحاديث التي نقل عن ابن عباس أنه سمعها مباشرة من الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ لقد اختلفت اقوال العلماء في ذلك ، ونحن هنا ننقل لك ما ذكر في الرياض المستطابة نقلا عن ابن حجر قال :

فائدة : روي عن غندر أن ابن عباس لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم إلا تسعة أحاديث ، وعن يحيى القطان عشرة ، وقال الغزالي في المستصفي : اربعة ، وفيه نظر ، ففي الصحيحين عن ابن عباس مما صرح فيه بسماعه من النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من عشرة ، وفيهما مما يشهد فعله نحو من ذلك ، وفيهما مما له حكم الصريح نحو ذلك فضلاً عمّا ليس في الصحيحين(١) .

رواية ما تحمله الصحابي وهو صغير :

ممالاشك فيهان بعض الأحاديث التي رواهاابنعباس رضيالله عنه كان قد سمعها أو شاهدها قبل سن البلوغ ، إذ قد علمت أن سنّه رضي الله عنه كانت عند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حوالي ثلاث عشرة سنة ، وهنا يتساءل الإنسان هل يقبل من الراوي بعد البلوغ ما تحمله أو رآه قبل البلوغ حين لم يكن آنذاك في سن التكليف ؟

لقد قسم علماء مصطلح الحديث الأهلية إلى قسمين : أهلية اداء واهلية تحمّل .

---

(١) الرياض المستطابة. ٢٠٠،وانظر فتح الباري (باب الحشر).

أما أهلية الأداء فاشترطوا فيها أن يكون الراوي بالغاً عاقلاً مسلماً عدلاً ضابطاً (١) .

أما أهلية التحمل فالذي عليه جمهور المحدثين انه لا يشترط فيه البلوغ والاسلام والعدالة .

بل قبلوا تحمل الصبي والفاسق والكافر إذا روى ما تحمله بعد البلوغ والعدالة والإسلام وحجتهم في الصبي ان جمهور المسلمين كانوا يقبلون رواية أحداث الصحابة كالحسن والحسين وعبد الله ابن الزبير والنعمان بن بشير وابن عباس وغيرهم من صغار الصحابة، دون أن يفرقوا بين ما تحملوه بعد البلوغ وما تحملوه قبل ذلك .

وحجتهم في الكافر حديث جبير بن مطعم في الصحيحين انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ المغرب بالطور ، وكان جاء المدينة قبل ان يسلم في شأن فداء أسرى بدر ، وفي رواية البخاري : « وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي » .

واما الفاسق فقاسوه على الكافر من باب أولى .

السن الذي يقبل فيها تحمل الصبي :

ولكن علماء المصطلح اختلفوا في السن التي فيها التحمل ويقبل ، فذهب فريق من العلماء إلى انه خمس سنوات فما فوق.

قال القاضي عياض رحمه الله : إن أهل الصنعة حدّدوا أول زمن يصح فيه للصبي السماع هو خمس سنين ، وقال ابن الصلاح : وعلى هذا استقر العمل بين أهل الحديث . وحجة هؤلاء ما رواه

---

(١) انظر الباعث الحثيث : ١٠١ فما بعدها .

البخاري وغيره من حديث محمود بن الربيع قال :عقلت من النبي صلى الله عليه وسلم مجة مجها في وجهي من دلو وأنا ابن خمس سنين (١) وقد بوّب البخاري رحمه الله على هذا فقال : باب متى يصح سماع الصغير .

وذهب فريق آخر إلى أنه لا يحدد لذلك سن معينة،بل يربط ذلك بالتمييز ، فإذا فهم الصغير الخطاب ، وردّ الجواب كان مميزاً صحيح السماع ، ولو كانت سنه أدنى من خمس سنين .

القسم الثاني :

أحاديث يقطع الباحث أنه لم يسمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، إلا أن ابن عباس يذكر من رواها عنه من الصحابة رضوان الله عليهم . ومن خلال هذه الأحاديث ندرك شيوخه في الحديث الذين كان يروي عنهم .

١ ــ عن ابن عباس قال : سمعت أبا طلحة يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة تماثيل(٢) .

٢ ــ عن ابن عباس عن الصعب بن جثّامة رضي الله عنهم قال : « مرّ بي النبي صلى الله عليه وسلم بالأبواء أو بودّان،وسئل عن أهل الدار يبيتون من المشركين ، فيصاب من نسائهم وذراريهم؟

---

(١) انظر الباعث الحثيث : ١٢٠ فما بعدها وانظر في هذا البحث تقريب النووي وشرحه تدريب الراوي .
(٢) البخاري : ٨٢/٤ .

قال : هم منهم . وسمعته يقول : لا حمى إلا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم(١) » .

٣ ــ عن ابن عباس قال : سمعت عمر رضي الله عنه يقول : قاتل الله فلاناً ألم يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها(٢) » .

٤ ــ عن ابن عباس قال : سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عمر بن الخطاب ــ وكان أحبهم إليّ ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس ، وبعد العصر حتى تغرب(٣) » .

٥ ــ عن ابن عباس عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أدرك من العصر ركعة قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك ، ومن أدرك من الفجر ركعة قبل ان تطلع الشمس فقد أدرك(٤) » .

٦ ــ عن ابن عباس قال : حدثني عمر بن الخطاب قال : « لما كان يوم خيبر اقبل نفر من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) البخاري : ٢٠/٤ . الأبواء : قرية بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً . ودّان : بالفتح موضع بين مكة والمدينة . يبيتون : يغار عليهم بالليل .

(٢) البخاري : ١٤٥/٤ قاتل الله فلاناً : هو سمرة بن جندب باع خمراً أخذه من أهل الكتاب عن قيمة الجزية فباعه منهم . وانظر تتمة هذا البحث في فتح الباري : ٢٨١/٤ . جملوها : أذابوها .

(٣) مسلم : ٢٠٧/٢ .

(٤) مسلم : ١٠٣/٢ .

فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد ، حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا إني رأيته في النار في بردة غلَّها أو عباءة . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ، اذهب فناد في الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون .

قال: فخرجت فناديت: «ألا إنه لا يدخل الجنةإلا المؤمنون(١)»

القسم الثالث:

أحاديث يقطع الباحث أنه لم يسمعها من الرسول عليهالصلاة والسلام . ولكن ابن عباس يسندها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا يذكر الصحابي المروي عنه :

١ ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت « وأنذر عشيرتك الأقربين(٢) » جعل النبي صلى الله عليه وسلم ينادي يابني فهر ، يابني عدي ، ببطون قريش » ومعلوم أن هذه الحادثة كانت في بدء الدعوة في مكة ، وابن عباس لم يكن قد ولد آنذاك . ولكنه لا بدّ أن يكون قد سمعها من غيره من الصحابة فرواها .

٢ ــ عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول لله صلى الله عليه وسلم قال ــ وهو في قبة يوم بدر ــ : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم . فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك يا رسول الله ، ألححت على ربك ، وهو يثب في الدرع . فخرج وهو يقول : « سيهزم الجمع ويولّون الدّبر(٣) »

---

(١) مسلم : ٧٥/١. غلها: أخذها خيانة من المغنم قبل أن يقسم.
(٢) البخاري : ١٦١/٤ .
(٣) البخاري : ٥٤/٦ .

٣ ـ عن ابن عباس قال : بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم ، فنظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خطم انفه ، وشقّ وجهه كضربة السوط ، فاخضرّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت ، ذلك من مدد السماء الثالثة ، فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين(١) » . ومعلوم أن حادثة بدر لم يكن فيها ابن عباس قطعاً ، ولقد كان عمره آنذاك حوالي خمس سنوات ، ولم يكن قد هاجر بَعد .

٤ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : مشى معهم ـ أي محمد بن مسلمة وأربعة من قومه ـ إلى بقيع الغرقد حين وجههم لقتل كعب بن الأشرف اليهودي ثم قال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم(٢) » . ومعلوم أن قتل كعب بن الأشرف كان في السنة الثالثة للهجرة من بعد غزوة بدر .

٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث إلينا بجسده ، ونعطيهم اثني عشر ألفاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا خير في جسده ولا في ثمنه(٣) ومعلوم أن غزوة الأحزاب كانت في السنة الخامسة أو الرابعة ، ولم يكن ابن عباس قد هاجر بعد .

وهذا النوع من الأحاديث يسمى بمرسل الصحابي ، وفيما يلي نتحدث عن ذلك .

---

(١) مسلم : ١٥٧/٥ .
(٢) حياة الصحابة : ٦٥/٢ .
(٣) حياة الصحابة : ٤٥٦/٢ .

قبول مرسل الصحابي :

المرسل : هو ما سقط منه الواسطة بين الراوي وبين الرسول صلى الله عليه وسلم سواء أكان الراوي تابعياً أو صحابياً ، وبعضهم يخصه بما رواه التابعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسقطاً الواسطة بينه وبين الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقد عرفه ابن الحاجب بقوله : قول غير الصحابي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلف العلماء في قبول مرسل غير الصحابي، فذهب الإمام أبو حنيفة والإمام مالك وحكي أيضاً عن الإمام أحمد إلى أن المرسل يحتج به واستدلوا على ذلك بأدلة مبسوطة في كتب أصول الفقه .

وأما الإمام الشافعي فقد كان يقبل المرسل بشروط ذكرها في كتابه « الرسالة » .

وأما مرسل الصحابي ـ وهو مارواه الصحابي مسقطاً الواسطة بينه وبين الرسول ـ فقد ذهب جمهور العلماء إلى قبوله .

قال ابن الصلاح: وأما مراسيل الصحابة، كابن عباس وأمثاله ففي حكم الموصول ، لأنهم يروون عن الصحابة ، وكلهم عدول فجهالتهم لا تضر . والله أعلم .

وقال ابن الحنبلي في قفو الأثر : والمختار في التفصيل قبول مرسل الصحابي إجماعاً .

وقال ابن كثير : قلت : وقد حكى بعضهم الإجماع على قبول مراسيل الصحابة ، وذكر ابن الأثير وغيره في ذلك خلافاً ، ويحكى هذا المذهب عن الأستاذ أبي إسحاق الاسفراييني ، لاحتمال تلقيهم عن بعض التابعين .

وقال السيوطي في تدريب الراوي : « وفي الصحيحين من ذلك ما لا يحصى ـ يعني من مراسيل الصحابة ـ لأن أكثر رواياتهم عن

الصحابة ، وكلهم عدول ورواياتهم عن غيرهم نادرة ، وإذا رووها بينوها ، بل أكثر ما رواه الصحابة عن التابعين ليس أحاديث مرفوعة ، بل إسرائيليات ، أو حكايات او موقوفات .

وما ذكره السيوطي رحمه الله تعالى هو الحق الذي لا محيد عنه ، فلقد كان أصحاب رسول الله جميعهم يقبلون مراسيل ابن عمر وأبي هريرة وغيرهم ولا يسألونهم من اين اتيتم بهذا ، مع علمهم انهم لم يسمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روي عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه قال : ما كل مانحدثكم به سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن سمعنا بعضه وحدثنا أصحابنا ببعضه(١) .

القسم الرابع :

احاديث يرويها ابن عباس ومن المحتمل أن يكون قد سمعها من الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومن المحتمل أيضاً أن لا يكون قد سمعها منه ، ولم يبين ابن عباس شيئاً من ذلك .

١ ــ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم(٢) » فهنا لم يصرح ابن عباس بأنه سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ، كما لم يصرح بخلاف ذلك .

---

(١) انظر في هذا البحث (الباعث الحثيث) لابن كثير وكتاب (قواعد في علوم الحديث) لظفر احمد التهانوي : ١٤٠ ــ ١٤١ .

(٢) حياة الصحابة : ١٥١/٤ وقال : اخرجه الشيخان .

٢ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يرحم الله أم إسماعيل لولا أنها عجلت لكان زمزم عينا معيناً(١) » وهنا أيضاً لم يصرح ابن عباس بالسماع .

٣ ـ عن أبي جمرة قال : كنت اترجم بين ابن عباس وبين الناس فقال : إن وفد عبد القيس أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من الوفد أو من القوم ؟ قالوا : ربيعة ، فقال : مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى . قالوا : إننا نأتيك من شقة بعيدة ، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا ندخل به الجنة ، فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع : أمرهم بالإيمان بالله عزّ وجل وحده قال : هل تدرون ما الإيمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وتعطوا الخمس من المغنم . ونهاهم عن الدّبّاء والحنتم ، والمزفت ، قال شعبة ، ربما قال : النقير وربما قال : المقير . قال : احفظوه واخبروه من وراءكم(٢) » وقد كانت الوفود تأتي إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الفتح في السنة التاسعة أو العاشرة، ولقد كان ابن عباس قد هاجر، ولكنه لم يذكر أنهقد كان حاضراًمعالرسول عندما قدم عليه الوفد.

---

(١) البخاري : ١١٣/٤ .

(٢) البخاري : ٣٠/١ . الدباء : القرع . الحنتم : جرار مدهونة بدهان أخضر . النقير : أصل النخلة ينقر . المزفت : ماطلي بالزفت . المقير : ماطلي بالقار وهو الزفت والمراد من ذلك النهي عن الانتباذ في هذه الأواني ، ثم نسخ ولم يحرم إلا ما أسكر من النبيذ .

٤ ــ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا عاد المريض جلس عند راسه ثم قال سبع مرار : « أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك » فإن كان في أجله تأخير عوفي من وجعه(١) .

ابن عباس والمعراج المنسوب إليه :

في الأسواق كتاب يتداوله العوام من الناس ويقرؤونه ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ليلة ذكرى معراج النبي محمد عليه الصلاة والسلام .

هذا الكتاب يسمى « معراج ابن عباس » يرى الجهلة أنه من تأليف ابن عباس يصور لنا فيه كيف عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم .

إن حادثة معراج النبي صلى الله عليه وسلم هي حادثة واقعية ثبت وقوعها في كتب السنة الصحيحة ، وقد عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السموات العلا بجسده وروحه وعلى هذا إجماع من يحتج بإجماعه من المسلمين .

ولكن هل هذا المسمى بمعراج ابن عباس هو صحيح النسبة إليه ، وهل ما وجد في هذا المعراج من وصف لمعراج النبي صلى الله عليه وسلم صحيح أيضاً .

لكي نجيب على ذلك لابد من الرجوع إلى المنهج العلمي في الإسلام ، ذلك المنهج الذي يتعرف به إلى ما هو صحيح وثابت في الدين وما ليس كذلك .

---

(١) حياة الصحابة : ٩٢/٣ .

يقول هذا المنهج : لكي نثبت نصاً شرعياً من السنة لا بدّ من التحقق من امرين : احدهما صحة السند وثانيهما صحة المتن .

والسند هو سلسلة الأشخاص الذين ينقلون هذا النص ويصلون به إلى من روي عنه ، ولا تتحقق صحة السند إلا بأن يوجد فيه أمور ، هي أن ينقله العدل الضابط عن مثله حتى يصل إلى من روي عنه من غير شذوذ ولا علّة ، فإذا لم يكن لهذا الكلام المنقول سند كان هذا الكلام ساقطاً لا يمكن حسبانه نصاً شرعياً ، وإذا كان أحد رواته غير عدل بل هو متهم في دينه وسلوكه لم يعبأ بهذا الكلام الذي نقله ، وإذا كان أحد رواته سيء الحفظ أو ضعيفه فلا يعدّ هذا الكلام حجة في الدين ، وإذا حدث انقطاع بين رجال السند بأن لم يكن أحدهم قد سمع الخبر ممن فوقه سقط أيضاً هذا النص وأصبح نصاً لا يعتد به . وإذا خالف الراوي من هو أوثق منه سقط ايضاً كلامه واخذ بكلام الأوثق و هكذا .

وأما المتن فهو نفس الكلام المنقول عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وليكون هذا الكلام المنقول صحيحاً يشترط فيه أن لا يكون مخالفاً للمنطق السليم ، وألاّ يكون مخالفاً لحقائق العلم ، وألاّ يكون في هذا الكلام ركاكة في اللفظ او المعنى ، وأن لا يكون مخالفاً للقرآن الكريم .

من هذا المنهج العلمي نستطيع أن ننطلق للتعرف على حقيقة هذا الكتاب الذي يدعى « معراج ابن عباس » فماذا نرى يا ترى ؟

إن من يتصفح هذا المسمى بمعراج ابن عباس لا بدّ من أن يلاحظ الأمور التالية :

١ ـ إن المعراج الذي وقع للرسول عليه الصلاة والسلام كان في مكة قبل الهجرة ، وابن عباس كان لا يزال صبياً في مهده ، فلا

بدّ أن يكون قد رواه عن غيره من الصحابة الذين عايشوه أو سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا بدّ أن يكون بعض من الصحابة قد رووا شيئاً مما يوجد في هذا المعراج ، وما وجد في الحقيقة لم نر أحداً من الصحابة قد رواه ، وربما يمكن التفاضي عن هذه النقطة لو سلم لنا غيرها من النقاط .

٢ً ـ لقد روى حديث المعراج جمهور من الصحابة كما نرى ذلك فيكتب السنة الصحيحة وما ذكر في هذا الكتاب مخالف لما رووه .

٣ً ـ لم ينقل لنا في كتب الحديث ولا التاريخ أن لابن عباس كتاباً في المعراج ، ولو كان لاشتهر على السنة المحدثين وكتبهم التي تعنى بما هو أقلّ من ذلك .

٤ً ـ لو فرض أن هذا المعراج من وضع ابن عباس ـ وحاشاه من ذلك ـ فمن الذي رواه عن ابن عباس ، وأين السند الذي وصل إلينا به هذا المعراج .

٥ً ـ إن كثيراً مما وجد في هذا المعراج يأباه التفكير السليم والعقل الصحيح ، من ذلك ما حكاه عن السموات من أنها بعضها من حديد وبعضها من ذهب وبعضها . . .

وما ذكر من أن الرسول رأى في السماء الأولى ملكاً نصفه من ثلج ونصفه من نار ، فلا الثلج يطفىء النار ولا النار تذيب الثلج ، له ألف رأس وفي كل رأس ألف الف وجه وفي كل وجه ألف ألف لسان يسبح الله بألف ألف لغة ومن ذلك ما ذكره عن ملك الموت وما ذكره في وصف جهنم .

٦ً ـ أن كثيراً مما فيه هو من الخرافات والأساطير والإسرائيليات .

ومن المؤكد أن يداً عدوة للإسلام قد صاغت هذا المعراج ، ولكي تكسب ثقة القارئين عزته إلى ابن عباس ، ولكي تموه الأمر خلطت فيه شيئاً قليلاً مما يذكر في كتب الصحاح عن المعراج ليكون كدس السم في الدسم ، وأغلب الظن أن هذه اليد هي يد يهودية ، لأن اليهود ما برحوا يكيدون للإسلام منذ فجره إلى يومنا هذا بشتى الأسباب والوسائل والمجالات والاتجاهات سواء في ذلك العقيدة والنظم والمبادىء والسياسة ، فليحذر المسلمون من كيدهم ، فأولئك الذين لعنهم الله وجعل منهم القردة والخنازير ، فكيف يسوغ بعد ذلك نسبة هذا المعراج إلى ابن عباس وكيف يجوز للمسلمين أن يقرؤوه وكيف يسوغ لبعض المسلمين أن يطبعه وينشره ابتغاء كسب عاجل . ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » فعلى المسلمين أن ينبه بعضهم بعضاً لذلك ، ولينشروا فيما بينهم الوعي الديني الصحيح « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم » .

هذا وقد كتب عن المعراج المنسوب إلى ابن عباس صديقنا الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي شيئاً ضمن كتابين له ، أحدهما تجربة التربية الإسلامية ، والثاني من الفكر والقلب فجزاه الله خيراً .

فأنت رأيت من خلال ما تقدم أن ابن عباس كان قمة في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان قمة في الفقه والتفسير ، فحق أن يدعى بالحبر .

الفصل الثالث

مواقفه السّياسيّة

إن شخصية ابن عباس شخصية متكاملة ، وهي بحق تمثل شخصية المسلم الواعي المدرك الواقعي ، فهو لم يحصر نفسه في جانب من جوانب الحياة ويهمل الجوانب الأخرى او يقف منها موقفاً سلبياً ، بل كان آخذاً من كل ناحية بطرف ، فهو فقيه مرجع في الفقه ، وهو محدّث يضرب إليه الناس بطون الإبل من مشارق الأرض ومغاربها ليتلقوا عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مفسر يغوص على جواهر معاني كتاب الله فيستخرجها ، فيكون مصدراً من أبرز مصادر التفسير ، يتناول العلماء اقواله فيه ويتلقونها بالقبول ، وهو أديب من قمم الأدب يأوي إليه علماء اللغة فيأخذون عنه اللغة والأدب ، وهو إلى جانب ذلك خطيب من ابرز الخطباء وحكيم من ألمع الحكماء ، وذو منطق وحجة واجوبة مدهشة مسكتة مقنعة . هذا ولم تخل حياته من العمل في ميدان السياسة ، فلقد كان له في هذا الميدان جولات وجولات لم يقصر فيها عن نظرائه ، إلا ان الناحية العلمية كانت أبرز شيء في حياته ، حتى إنها طغت على ما عداها من الصفات البارزة فيه ، واصبح بعض الناس لا يرى فيه إلا المفسر والمحدث والفقيه .

ونحن فيما يلي نجلّي هذا الجانب السياسي بعرض بعض مواقف له فيه ، كي يتجلى تكامل شخصيته ،ويكون قدوة في ذكائه وفطنته والمعيته .

رايه في تولي علي الخلافة :

مما لا شك فيه أن صحبته الطويلة لعمر أكسبته خبرة في الرجال ، وبصيرة نافذة فيما تعقبه الأحداث من أمور ومشاكل ، ولذلك كان يضع الأمور مواضعها، ويحسب نتائج الأمور قبل وقوعها، ولقد كان يرى أن من البدهي أن يعقب قتل عثمان رضي الله عنه وما رافقه من أحداث وما سبقه من ملابسات بلبلة واضطراباً في الوسط الإسلامي داخل المدينة وخارجها ، من هذه البصيرة النافذة كان يرى أن ليس من مصلحة علي أن يتولى الخلافة، سيما وقد كان يوم مقتل عثمان ماكثاً في المدينة، وبينه وبين مسرح الأحداث مرمى النظر .

فعن عمرو بن دينار: ان أهل المدينة كلموا ابن عباس أن يحج بهم ، فدخل على عثمان فأمَّره ، فحج ثم رجع ، فوجد عثمان قد قتل ، فقال لعلي : إن أنت قمت بهذا الأمر ألزمك الناس دم عثمان إلى يوم القيامة(١) .

والذي يبدو من أخبار التاريخ أن علياً رضي الله عنه لم يكن راغباً في الخلافة في غمرة هذه الأحداث ، وأن نصح ابن عباس قد صادف مكاناً في نفسه ، إلا أن الأمور قد جرت على غير ما يحب ، فقد لجأ الناس إليه ليتولى الخلافة بل قد أكرهوه على ذلك حين لم يروا أحداً غيره أكثر أهلية لتوليها .

---

(١) سير النبلاء : ٣/٢٣٤ .

ففي البداية والنهاية عن سيف بن عمر عن جماعة من شيوخه قالوا : بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان واميرها الغافقي ابن حرب ، يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر . والمصريون يلحون على عليّ وهو يهرب منهم إلى الحيطان ، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه ، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم ، فقالوا فيما بينهم : لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة ، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا: إنك من أهل الشورى فلم يقبل منهم، ثم راحوا إلى ابن عمر، فحاروا في أمرهم ثم قالوا: إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسلم، فرجعوا إلى علي فألحوا عليه وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس . وفي البداية والنهاية أيضاً : وقد امتنع علي من إجابتهم إلى قبول الإمارة حتى تكرر قولهم له ، وفرّ منهم إلى حائط بني عمرو بن مبذول ، وأغلق بابه ، فجاء الناس فطرقوا الباب وولجوا عليه ، وجاؤوا معهم بطلحة والزبير ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا يمكن بقاؤه بلا أمير ، ولم يزالوا به حتى أجاب(١) .

نصح ابن عباس لعلي بإبقاء الولاة ولاةً في أمصارهم :

بعد أن ولي علي رضي الله عنه الخلافة بايعه ابن عباس ، ورأى أن المصلحة أن يكون الى جانبه يمحضه النصح ، ويعاونه في حلّ ما يتعقد من أمور ، وكان من أول ما قدم له من نصح ، أن حثه على استبقاء الولاة في إمارتهم ، وخاصة معاوية بن أبي سفيان الذي كان والياً على الشام آنذاك .

---

(١) البداية والنهاية : ٧/٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

ففي البداية والنهاية : لما استقر أمر بيعة علي دخل عليه طلحة والزبير ورؤوس الصحابة رضي الله عنهم ، وطلبوا منه إقامة الحدود والأخذ بدم عثمان ، فاعتذر إليهم بأن هؤلاء لهم مدد وأعوان ، وأنه لا يمكنه ذلك يومه هذا . . .

ثم أشار ابن عباس على علي باستمرار نوابه في البلاد إلى أن يتمكن الأمر ، وأن يقرّ معاوية خصوصاً على الشام ، وقال له : إني أخشى إن عزلته عنها أن يطلبك بدم عثمان ، ولا آمن طلحة والزبير أن يتكلما عليك بسبب ذلك ، فقال علي : إني لا أرى هذا ، ولكن اذهب أنت إلى الشام فقد وليتكها . فقال ابن عباس لعلي : إني أخشى من معاوية أن يقتلني بعثمان ، أو يحبسني لقرابتي منك ، ولكن اكتب معي إلى معاوية فمنّه وعِدْه ، فقال علي : والله إن هذا مالا يكون أبداً . فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين، الحرب خدعة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله لأوردنهم بعد صدرهم(١) .

نصحه لعلي بالبقاء في المدينة وعدم الرحيل الى العراق :

ومن النصائح القيمة التي قدمها ابن عباس لعلي رضي الله عنهما نصحه إياه أن لا يذهب الى العراق ويغادر المدينة المنورة ، لأنه يرى أن المدينة هي عاصمة الاسلام ، ومنها انتشر في أرجاء الأرض ، وأهلها هم اقدم الناس إيماناً واصدقهم في نصرة الحق .

قال ابن كثير : ونهى ابن عباس علياً فيما أشار إليه ان

---

(١) البداية والنهاية : ٧/٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

يقبل من هؤلاء الذين يحسنون إليه الرحيل الى العراق ومفارقة المدينة ، فأبى عليه ذلك كله ، وطاوع أمر أولئك الأمراء من أولئك الخوارج من أهل الأمصار .

شهود ابن عباس مع عليٍ الجمل وصفين :

كان ابن عباس الى جانب عليٍ رضي الله عنه في أحلك ظرف مرّ عليه في حياته ألا وهو معركة الجمل وصفّين ، ولقد كان يرى ان من الواجب عليه أن يناصر علياً لا لأنه ابن عمه وإنما من أجل أن جمهور المسلمين قد بايعوه بالخلافة ، وأن من لم يبايعه خارج عن أمر الجماعة ويستحق القتال حتى يعود إلى أمر الله .

قال الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه ، قال : نظر أبي إلى ابن عباس يوم الجمل وصفين ، وكان أميراً على الميسرة ، وشهد معه قتال الخوارج ، وكان ممن اشار على عليٍ أن يستنيب معاوية على الشام وان لا يعزله عنها في بادىء الأمر حتى قال له فيما قال : إن احببت عزله فولّه شهراً واعزله دهراً ، فأبى عليّ إلا أن يقاتله .

وفي البداية والنهاية : وفي اليوم الخامس ـ وهو يوم الأحد من معركة صفين ـ كان أمير الحرب من قبل عليٍ رضي الله عنه عبد الله بن عباس ، وقد قاتل بنفسه قتالاً شديداً ، وقد طلب أن يبرز إليه من قبل جيش معاوية الوليد بن عقبة ، وكان أمير الحرب فيذلك اليوم فأبى(١) .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٦٢/٧ .

وكان ـ أي ابن عباس ـ على ميسرة علي في اليوم السابع في معركة صفين(١) .

توليه بعض المناصب السياسية :

لم تقتصر مشاركة ابن عباس في الأمور السياسية على إسداء المشورة وإبداء الرأي ، بل شارك أيضاً في تولي بعض المناصب السياسية ، وكان علي رضي الله عنه يجد فيه الرجل الكفء ، ويسند إليه تولي حكم بعض المناطق الهامة ، وحل بعض المشكلات المستعصية .

في البداية والنهاية:ان علياً رضي الله عنه قد ولاه البصرة سنة ست وثلاثين وذلك أن علياً عندما قدم البصرة عاد أبا بَكْرة ـ وقد كان مريضاً ـ وعرض عليه أن يوليه البصرة فامتنع وقال : رجل من أهلك يسكن إليه الناس ، واشار عليه بعبد الله بن عباس ، فولاه البصرة وجعل معه زياد بن أبيه على الخراج وبيت المال ، وأمر ابن عباس أن يسمع من زياد(٢).وفي الإصابة : ان علياً ولاه البصرة فلم يزل ابن عباس على البصرة حتى قتل علي ، فاستخلف على البصرة عبد الله بن الحارث ومضى إلى الحجاز . ولقد كان ابن عباس في إمارته يسعى لتثقيف الناس وتعليمهم معاني القرآن الكريم وخاصة في شهر رمضان .

أخرج الزبير بن بكار بسند له أن ابن عباس كان يفسر للناس

---

(١) البداية والنهاية : ٢٦٣/٧ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٤٦/٧ بتصرف يسير .

في رمضان وهو امير البصرة فما ينقضي الشهر حتى يفقههم(١). وكان أهل البصرة مغبوطين بـه ، يفقههم ويعلم جاهلهم ويعظ مجرمهم ويعطي فقيرهم .

ولقد كان أهل البصرة يثنون عليه بما هو جدير به من الثناء الطيب ، فقد ورد صعصعة بن صوحان على علي بن أبي طالب فسأله عن ابن عباس ، فقال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، إنه آخذ بثلاث وتارك لثلاث : آخذ بقلوب الرجال إذا حدَّث ، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث ، وبأيسر الأمرين إذا خولف . وترك المراء ، ومقارنة اللئيم ، وما يعتذر منه(٢) .

لقد مرّ آنفاً أن ابن عباس بقي عاملاً على البصرة حتى وفاة علي رضي الله عنه ، غير ان هناك روايات تقول إنه ترك عمالته على البصرة وذهب إلى مكة في حياة علي رضي الله عنه .

ففي البداية والنهاية : ذكر ابن جرير سبب خروج ابن عباس عن البصرة ، و ذلك أنه كلّم أبا الأسود الدؤلي القاضي بكلام فيه غض من أبي الأسود ، فكتب أبو الأسود إلى علي يشكو إليه ابن عباس ، وينال من عرضه فإنه تناول شيئاً من أموال بيت المال ، فبعث علي إلى ابن عباس فعاتبه في ذلك وحرّر عليه التبعة ، فغضب ابن عباس من ذلك ، وكتب إلى علي : ابعث إلى عملك من أحببت فإني ظاعن عنه والسلام . ثم سار ابن عباس إلى مكة مع أخواله بني هلال(٣) .

---

(١) الإصابة : ٤/٩٤ .

(٢) البداية والنهاية : ٨/٣٠٠ .

(٣) انظر البداية والنهاية : ٧/٣٢٣ .

ابن عباس وقضية التحكيم :

إن قضية التحكيم بين علي ومعاوية رضي الله عنهما كانت نقطة تحول بالنسبة للخلاف الواقع بينهما ، ولا يعنينا هنا أن نبحث في هذه القضية وفي صالح من كانت وما هي الأسباب التي أدت إلى هذا التحكيم ، وإنما الذي يعنينا هنا ان نبرز الدور الذي قام به عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

لقد شهد ابن عباس معركة صفين وكان في تلك المعركة أمير الحرب من قبل علي رضي الله عنه ــ كما مرّ ــ ولقد نادى أصحاب الشام بإيقاف القتال والتحكيم .

ولقد كان رأي علي رضي الله عنه أن يكون ابن عباس الحكم من جهته لما يرى فيه من الكفاءة لمثل هذا الموقف الحرج ، ولكن أهل اليمن أبوا إلا أن يكون الحكم من جهة علي أبا موسى الأشعري رضي الله عنه الذي كان معتزلاً القتال آنذاك .

ولقد كان ابن عباس ينصح علياً ألاّ يكون أبو موسى حكماً عنه.

فعن عكرمة قال: سمعت عبد الله بن عباس يقول : قلت لعلي: لا تحكم أبا موسى فإن معه رجلاً، حذراً، مرساً، قارحاً من الرجال، فلزّني إلى جنبه ، فإنه لا يحلّ عقدة إلا عقدتها ، ولا يعقد عقدة إلا حللتها ، قال : يا ابن عباس فما أصنع ؟ إنما أوتى من أصحابي ، قد ضعفت نيتهم وكلوا . هذا الأشعث يقول : لا يكون فيها مضريان أبداً . فعذرت علياً(١) .

ولقد نزل علي على رغبة هؤلاء ففوض أبا موسى الأشعري ،

---

(١) سير النبلاء : ٣/٢٣٤ .

إلا انه اراد ان يجعل لابن عباس مشاركة في هذا الأمر الجلل ، فجعله أحد الشهود العشرة من جهته على كتاب التحكيم(١) .

مناظرة ابن عباس للخوارج :

عندما رضي علي رضي الله عنه بالتحكيم انشق عنه فريق من جيشه يقرب من اثني عشر الفاً ، واخذوا ينادون لا حكم إلا لله ، وكفروا علياً بذلك ، وهؤلاء هم الذين أصبحوا يسمون في التاريخ بالخوارج .

ولقد أراد علي أن يرجعهم إلى جادة الصواب ، فأرسل اليهم عبد الله بن عباس فناظرهم ، ولقد عاد أكثرهم إلى موالاة عليّ .

ولقد جرى بين ابن عباس وهؤلاء الخوارج مناظرات ومناقشات تظهر مقدرة ابن عباس السياسية والعلمية .

ففي البداية والنهاية : أن علياً بعث الى الخوارج عبد الله بن عباس ، حتى إذا توسط عسكرهم ، فقام ابن الكوا فخطب الناس فقال : ياحملة القرآن ، هذا عبد الله بن عباس فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه ، ممن يخاصم في كتاب الله بما لا يعرفه ، هذا ممن نزل فيه وفي قومه : (بل هم قوم خَصِمون) فردّوه إلى صاحبه ، ولا تواضعوه كتاب الله ، فقال بعضهم : والله لنواضعنّه فإن جاء بحق نعرفه لنتبعنّه ، وإن جاء بباطل لنكبتنّه بباطله ، فواضعوا عبد الله الكتاب ثلاثة أيام ، فرجع منهم اربعة آلاف كلهم تائب ، فيهم ابن الكوا ، حتى أدخلهم على علي الكوفة(٢) .

---

(١) البداية والنهاية : ٢٧٦/٧ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٨١/٧ . لنواضعنّه : في القاموس : المواضعة المراهنة ومتاركة البيع ، والموافقة في الأمر . وهلم اواضعك الرأي : أطلعك على رأيي وتطلعني على رأيك .

وفي الكامل للمبرد : ذكر أهل العلم من غير وجه ان علياً رضي الله عنه لما وجَّه إليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم ، قال لهم : ما الذي نقمتم على امير المؤمنين ؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميراً ، فلما حكّم في دين الله خرج من الإيمان ، فليتب بعد إقراره بالكفر نَعُد له ، فقال ابن عباس : لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقرّ على نفسه بالكفر .

قالوا : إنه قد حكَّم . قال : إن الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال عزّ وجل : «يحكم به ذوا عدل منكم » فكيف في إمامة قد أشكلت على المؤمنين ؟ !

فقالوا : إنه قد حُكم عليه فلم يرض . فقال : إن الحكومة كالإمامة ، ومتى فسق الإمام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما .

فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حجة عليكم ، فإن هذا من القوم الذين قال الله عزّ وجل فيهم : « بل هم قوم خصمون » وقال عزّ وجل : « وتنذر به قوماً لُدّاً(١) » .

وفي الكامل أيضاً : أن علياً وجَّه إليهم عبد الله بن عباس ، فلما صار إليهم رحبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود ، وأيدياً كثفنات الإبل ، عليهم قمص مرحَّضَة وهم مشمرون ، فقالوا : ما جاء بك يا أبا العباس ؟ فقال : جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ، ومن عند المهاجرين والأنصار . قالوا : إنا أتينا عظيماً حين حكمنا الرجال في دين الله ، فإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدونا رجعنا ، فقال ابن عباس : نشدتكم الله إلا ما صدقتم أنفسكم

---

(١) رغبة الآمل من كتاب الكامل : ٧٩/٧ .

أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم ، وفي شقاق رجل وامرأته ؟ فقالوا : اللهم نعم .

فقال : فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين أهل الحديبية ؟ قالوا : نعم ، ولكن علياً محا نفسه من إمارة المسلمين . قال ابن عباس : ليس ذلك بمزيلها عنه ، وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة ، وقد اخذ علي على الحكمين أن لا يجورا ، وإن يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره .

قالوا : إن معاوية يدّعي مثل دعوى علي. قال: فأيهما رأيتموه اولى فولوه . قالوا : صدقت . قال ابن عباس : متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما . قال : فاتبعه منهم ألفان ، وبقي أربعة آلاف(١) .

وفي الكامل للمبرد أيضاً : كان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس : إذا كان علي على حق لم يشكك فيه، وحكم مضطراً فما باله حيث ظفر لم يسب ؟ فقال لهم ابن عباس : قد سمعتم الجواب في التحكيم فأما قولكم في السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة ؟! فوضعوا اصابعهم في آذانهم وقالوا : امسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس، فإنه طَلق ذَلق غواص على موضع الحجة(٢) .

---

(١) رغبة الآمل : ١٤٠/٧ .

(٢) شرح الكامل : ١٧٧/٧ واصحاب النخيلة جماعة من الخوارج ممن فارقوا عبد الله بن وهب وممن لجأ إلى راية أبي أيوب وممن اقام بالكوفة فقال لا اقاتل علياً ولا اقاتل معه ، ثم ندموا على ذلك فوجه إليهم علي ابن عباس ، ولما أصروا على موقفهم قاتلهم علي رضي الله عنه فقتلهم حتى لم يفلت منهم إلا خمسة . طلق ذلق : سريع النطق حاد اللسان .

وفي الحلية عن ابن عباس قال: لما اعتزلت الحرورية قلت لعلي : يا أمير المؤمنين أبرد عني الصلاة لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم ، قال : إني أتخوفهم عليك ، قال: قلت كلا إن شاء الله ، فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة ، فدخلت على قوم لم أر قوماً أشد اجتهاداً منهم ، أيديهم كأنها ثفن إبل ـ جمع ثفنة وهي ركبة البعير وما مس الأرض من كركرته ـ ووجوههم مقلبة من آثار السجود ، قال: فدخلت، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس ، ما جاء بك ؟ قال : جئت أحدثكم . على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحي ، وهم أعلم بتأويله ، فقال بعضهم : لا تحدثوه ، وقال بعضهم: لنحدثنّه . قال: فقلت : أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخَتَنه وأول من آمن به ، وأصحاب رسول الله معه ، قالوا: ننقم عليه ثلاثاً ، قلت : وما هنّ ؟ قالوا : أولاهن انه حكّم الرجال في دين الله ، وقد قال الله عز وجل : « إن الحكم إلا لله » قال : قلت: وماذا ؟ قالوا : قاتل ولم يسبِ ولم يغنم ، لئن كانوا كفاراً لقد حلت له أموالهم ، وإن كانوا مؤمنين لقد حرمت عليه دماؤهم، قال : قلت ثم ماذا ؟ قالوا : ومحا نفسه عن أمير المؤمنين ، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين .

قال : قلت أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم ، وحدثتكم من سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما لا تنكرون أترجعون ؟ قالوا: نعم ، قال : قلت : أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فإنه يقول: « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النَّعم يحكم به ذوا عدل منكم » وقال في المرأة وزوجها : « وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما

من اهله وحكماً من اهلها ». انشدكم الله افحكم الرجال في حقن دمائهم وانفسم وصلاح ذات بينهم احق ام في ارنب ثمنها ربع درهم ؟ فقالوا : اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم ، قال : اخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم إنه قاتل ولم يسب ولم يغنم أتسبون أمكم ثم تستحلون منها ما تستحلون من غيرها ؟ فقد كفرتم ، وإن زعمتم انها ليست بأمكم فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام ، إن الله عز وجل يقول : « النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه أمهاتهم » فأنتم تترددون بين ضلالتين ، فاختاروا أيهما شئتم ، اخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم .

قال : وأما قولكم محا نفسه من امير المؤمنين فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ، فقال : اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقالوا : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبد الله ، فقال : والله إني لرسول الله وإن كذبتموني . اكتب يا علي محمد بن عبد الله ، فرسول الله كان أفضل من علي ، أخرجتُ من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم ، فرجع منهم عشرون الفاً ، وبقي منهم اربعة آلاف فقتلوا(١) .

ابن عباس ومعاوية :

لقد حدثت لقاءات بين ابن عباس ومعاوية وجرت بينهما أحاديث ومناقشات تنم عن ذكاء وألمعية في ابن عباس ، كما تدل على حنكة سياسية عنده مع التزام لقول الحق دون أن يخشى في الله لومة لائم ، وفيما يلي نذكر بعضاً من هذه المواقف .

---

(١) الحلية : ١/٣١٨ — ٣٢٠ .

ففي البداية والنهاية عن ابن عباس قال : دخلت على معاويه حين كان الصلح ـ وهو أول ما التقيت انا وهو ـ فإذا عنده أناس فقال: مرحباً بابن عباس ، ما تحاكّت الفتنة بيني وبين أحد كان أعزّ عليّ بُعداً ولا أحب إليّ قرباً ، الحمد لله الذي أمات علياً فقلت له : إن الله لا يذم في قضائه ، وغير هذا الحديث أحسن منه ، ثم قلت له : أحب أن تعفيني من ابن عمي واعفيك من ابن عمك ، قال : ذلك لك(١) .

وفي حياة الصحابة : أخرج الطبراني عن ربعي بن حراش قال : استأذن عبدالله بن عباس على معاوية رضي الله عنه، وقد علقت عنده بطون قريش ، وسعيد بن العاص جالس عن يمينه ، فلما رآه معاوية مقبلاً قال : ياسعيد والله لألقينّ على ابن عباس رضي الله عنهما مسائل يعيى بجوابها ، فقال له سعيد : ليس مثل ابن عباس يعيى بمسائلك ، فلما جلس قال له معاوية : ما تقول في أبي بكر ؟ قال: رحم الله أبا بكر كان والله للقرآن تالياً ، وعند الميل نائياً ، وعن الفحشاء ساهياً ، وعن المنكر ناهياً ، وبدينه عارفاً ، ومن الله خائفاً ، وبالليل قائماً ، وبالنهار صائماً ، ومن دنياه سالماً ، وعلى عدل البرية عازماً ، وبالمعروف آمراً ، وإليه صائراً ، وفي الأحوال شاكراً ، ولله في الغدو والرواح ذاكراً ، ولنفسه بالمصالح قاهراً ، فاق أصحابه ورعاً وكفافاً ، وزهداً وعفافاً ، وبراً وحياطة وزهادة وكفاءة ، فأعقب الله من ثلبه اللعائن إلى يوم القيامة .

قال معاوية : فما تقول في عمر بن الخطاب ؟ قال: رحم الله أبا

---

(١) البداية والنهاية : ٣٠١/٨ . ويعني بابن عمك عثمان بن عفان رضي الله عنه .

حفص ، كان والله حليف الاسلام ، ومأوى الأيتام ، ومحل الإيمان ، ومعاذ الضعفاء ، ومعقل الحنفاء ، للخلق حصناً وللناس عوناً ، قام بحق الله صابراً محتسباً حتى أظهر الله الدين وفتح الديار ، وذكر الله فيالاقطار والمناهل وعلىالتلال وفيالضواحيوالبقاع، وعند الخنا وقوراً ، وفي الشدة والرخاء شكوراً ، ولله في كل وقت واوان ذكوراً ، فأعقب الله من يبغضهاللعنة إلى يوم الحسرة .

قال معاوية : فما تقول في عثمان بن عفان ؟ قال : رحم الله ابا عمرو ، كان والله أكرم الحفدة ، واوصل البررة ، واصبر الغزاة ، هجاداً بالأسحار كثير الدموع عند ذكر الله ، دائم الفكر فيما يعنيه الليل والنهار ، ناهضاً إلى كل مكرمة ، يسعى إلى كل منجية ، فراراً من كل موبقة ، وصاحب الجيش والبئر ، وختن المصطفى على ابنتيه ، فأعقب الله من سبّه الندامة إلى يوم القيامة .

قال معاوية : فما تقول في علي بن ابي طالب ؟ قال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، ومحل الحجا ، وطود البهاء ، ونور السرى في ظلم الدجى ، داعياً إلى المحجة العظمى ، عالماً بما في الصحف الأولى ، وقائماً بالتأويلوالذكرى ، متعلقاً بأسباب الهدى ، وتاركاً للجَور والأذى ، وحائداً عن طرقات الردى .

قال : فما تقول في طلحة والزبير ؟ قال : رحمة الله عليهما ، كانا والله عفيفين ، بَرّين ، مسلمين ، طاهرين ، متطهرين ، شهيدين ، عالمين ، زلاّ زلة والله غافر لهما إن شاء الله بالنصرة القديمة والصحبة القديمة ، والأفعال الجميلة .

قال معاوية : فما تقولفي العباس ؟ قال : رحم الله أبا الفضل، كان والله صِنو ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرة عين صفي الله ، كهف الأقوام ، وسيد الأعمام ، وقد علا بصراً بالأمور ونظراً بالعواقب ، قد زانه علم ، قد تلاشت الأحساب عند ذكر

فضيلته،وتباعدت الأسباب عند فخر عشيرته،ولم لا يكون كذلك ؟!
وقد ساسه أكرم من دبّ وهبّ عبد المطلب أفخر من مشى من قريش وركب(١) . . .

وروى المدائني ان عبد الله بن عباس وفد إلى معاوية ، فأمر معاوية ابنه يزيد أن يأتيه فيعزيه في الحسن بن علي ، فلما دخل على ابن عباس رحب به وأكرمه، وجلس عنده بين يديه، فأراد ابن عباس أن يرفع مجلسه فأبى وقال : إنما أجلس مجلس المعزّي لا المهني ، ثم ذكر الحسن فقال : رحم الله أبامحمد أوسع الرحمة وأفسحها، وأعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ، وعوضك من مصابك ما هو خير لك ثواباً وخير عقبى . فلما نهض يزيد من عنده قال ابن عباس : إذا ذهب بنو حرب ذهب علماء الناس ، ثم أنشد متمثلا :

مَغاض عن العوراء لا ينطقوا بها وأصل وراثات الحلوم الأوائل(٢)

نصح ابن عباس للحسين رضي الله عنهما بعدم الخروج إلى العراق:

كما كان ابن عباس قريباً من علي بن أبي طالب يؤازره ويقاتل معه ويدافع عنه كان كذلك قريباً من أبنائه الحسن والحسين يواليهما ويؤيدهما وينصح لهما، ولقد كان يدرك ابن عباس حقيقة أهل العراق آنذاك ويعلم المواقف غير الحسنة التي وقفوها من ابن عمه علي رضي الله عنه فكان لا بدّ أن يحذر الحسين رضي الله عنه من الركون إليهم والاطمئنان إلى وعودهم والاغترار بكثرة كتبهم التي كانوا يرسلون بها إليه ، وعندما كتب أهل العراق كتباً كثيرة يستحثون بها الحسين للقدوم عليهم نصحه ابن عباس أن لا يستجيب لذلك ، واشتد بالإلحاح عليه أن لا يفعل .

---

(١) حياة الصحابة : ١/٥٣ ـ ٥٧ .
(٢) البداية : ٨/٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

عن ابن عباس قال : استشارني الحسين بن علي في الخروج فقلت : لولا أن يزري بي وبك الناس لشبثت يدي في رأسك فلم أتركك تذهب ، فكان الذي ردّ عليّ أن قال : لأن أقتل في مكان كذا وكذا أحب إليّ من أن أقتل بمكة ، قال : فكان هذا الذي سلّى نفسي عنه . أي أحب إليه من أن يقتل في مكة فتستحل حرمتها بقتله فيها (١) .

وعن عقبة بن سمعان أن حسيناً لما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه ابن عباس فقال : يا ابن عم انه قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق ، فبين لي ما أنت صانع ، فقال : إني قد أجمعت المسير في أحد يوميّ هذين إن شاء الله تعالى ، فقال له ابن عباس : أخبرني إن كان قد دعوك بعدما قتلوا أميرهم ونفوا عدوهم وضبطوا بلادهم فسر إليهم ، وإن كان أميرهم حياً وهو مقيم عليهم قاهر لهم ، وعماله تجبي بلادهم ، فإنهم إنما دعوك للفتنة والقتال ، ولا آمن عليك أن يستفزوا عليك الناس ويقلبوا قلوبهم عليك ، فيكون الذين دعوك أشد الناس عليك ، فقال الحسين : إني استخير الله وأنظر ما يكون ، فخرج ابن عباس عنه .

فلما كان من العشي أو من الغد ، جاء ابن عباس إلى الحسين فقال له : يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر ، إني أتخوف عليك في هذا الوجه الهلاك ، إن أهل العراق قوم غدر فلا تغترن بهم ، أقم في هذا البلد حتى ينفي أهل العراق عدوهم ثم أقدم عليهم ، وإلاّ فسر إلى اليمن فإن به حصوناً وشعاباً ولأبيك به شيعة ، وكن عن الناس في معزل ، واكتب إليهم وبثّ دعاتك فيهم ، فإني أرجو إذا فعلت

---

(١) انظر سير النبلاء : ٣/١٩٦ . والبداية والنهاية : ٨/١٥٩ .

ذلك أن يكون ما تحب . فقال الحسين : ياابن عم والله إني لأعلم أنك ناصح شفيق، ولكني قد أزمعت المسير. فقال له : فإن كنت ولا بدّ سائراً فلا تسر بأولادك ونسائك ، فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان ، ونساؤه وولده ينظرون إليه . ثم قال ابن عباس : اقررت عين ابن الزبير بتخليتك إياه بالحجاز ، فوالله الذي لا إله إلا هو لو أعلم أنك إذا أخذت بشعرك وناصيتك حتى يجتمع عليّ وعليك الناس أطعتني وأقمت لفعلت ذلك .

قال ثم خرج من عنده فلقي ابن الزبير فقال : قرّت عينك ياابن الزبير ، ثم قال :

يالك من قبرّة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقّري ما شئت أن تنقّري
صيادك اليوم قتيل فابشري

ثم قال ابن عباس : هذا حسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز(١) .

وبعد أن خرج الحسين رضي الله عنه الى العراق ومعه أهله كتب يزيد إلى ابن عباس يذكر له خروج الحسين ويقول : نحسب أنه جاءه رجال من المشرق فمنوه الخلافة ، وعندك منهم خبرة ، فإن فعل فقد قطع القرابة والرحم ، وأنت كبير أهل بيتك والمنظور إليه ، فاكففه عن السعي في الفرقة . فكتب إليه ابن عباس : إني لأرجو الاّ يكون خروجه لأمر تكره ، ولست أدع النصيحة له(٢) .

---

(٢) البداية والنهاية : ٨/١٥٩ ـ ١٦٠ . وانظر سير النبلاء : ٣/٢٠٠ .
(٢) سير النبلاء : ٣/٢٠٤ والبداية والنهاية:٨/١٦٤ـ١٦٥.

في كل ما تجتمع به الألفة ، وتطفأبه النائرة ، ودخل ابن عباس على الحسين فكلمه طويلا وقال له : أنشدك أن تهلك غداً بحال مضيعة ، لا تأت العراق ، وإن كنت لا بدّ فاعلاً فأقم حتى ينقضي الموسم ، وتلقى الناس ، وتعلم ما يصدرون ، ثم ترى رأيك ، وذلك في عشر ذي الحجة . فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق ، فقال له ابن عباس : والله إني لأظنك ستقتل غداً بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته ، والله إني لأخاف أن تكون أنت الذي يقاد به عثمان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . فقال له الحسين : أبا العباس إنك شيخ قد كبرت ، فقال له ابن عباس : لولا أن يزري ذلك بي وبك لنشبت يدي في رأسك، ولوأعلم أنا إذا تناصينا أقمت لفعلت ، ولكن لا إخال ذلك مانعك ، فقال الحسين : لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إليّ من أن أقتل بمكة ، وتستحل بي . قال فبكى ابن عباس .

موقفه من عبد الله بن الزبير :

عندما مات معاوية بن يزيد رأى عبد الله بن الزبير أنه أولى الناس بالخلافة ، فقام بالدعوة لنفسه ، فبايعه كثير من أهل الحجاز وأهل مصر والعراق ولم يبق مؤيداًلبني أمية إلا أهل الشام،والذي يظهر أن فريقاً من أهل الحجاز لم يكن راضياً بخلافته فلم يبايعوه منهم عبد الله بن عمر وابن الحنفية وعبد الله بن عباس . ولقد كانت كراهية ابن عباس لولاية ابن الزبير بادية منذ أن كان الحسين حياً كما يلاحظ مما مرّ عندما نصح ابن عباس الحسين بعدم الخروج، وكان ابن الزبير يغريه بالخروج ليخلو له الجو في رأي ابن عباس. ورغم كراهية ابن عباس لذلك فإنه أخيراً رغب في مبايعته واظهار الطاعة له غير أن ابن الزبير لم يحسن معاملته بل أعرض عنه وقدم عليه غيره . وفيما يلي بعض مواقف لابن عباس مع ابن الزبير .

في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة قال : دخلنا على ابن عباس فقال : الا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هـذا ، فقلت : لأحاسبن نفسي له محاسبة ماحاسبتها لأبي بكر ولالعمر، ولهما كانا أولى بكل خير منه، وقلت: ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم، ابن الزبير ، وابن أبي بكر ، وابن أخي خديجة ، وابن أخت عائشة، فإذا هو يتعلّى عني ولا يريد ذلك ، فقلت : ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي فيدعه ، وما أراه يريد خيراً، وإن كان لا بدّ لأن يربني بنو عمي أحبّ إليّ من أن يربني غيرهم(١) .

وفي البداية والنهاية : لما وقع الخلف بين ابن الزبير وبين عبد الملك بن مروان اعتزل ابن عباس ومحمد ابن الحنفية الناس ، فدعاهما ابن الزبير ليبايعاه فأبيا عليه ، وقال كل منهما : لا نبايعك ولا نخالفك ، فهمّ بهما فبعثا أبا الطفيل عامر بن واثلة ، فاستنجد لهما من العراق من شيعتهما ، فقدم اربعة آلاف فكبروا بمكة تكبيرة واحدة ، وهموا بابن الزبير فهرب فتعلق بأستار الكعبة وقال : أنا عائذ بالله ، فكفوهم عنه ، ثم مالوا إلى ابن عباس وابن الحنفية وقد حمل ابن الزبير حول دورهم الحطب ليحرقهم ، فخرجوا بهما حتى نزلوا الطائف(٢) .

ومرّ عبد الله بن صفوان يوماً بدار عبد الله بن عباس ، فرأى فيها جماعة من طالبي الفقه ، ومرّ بدار عبيد الله بن عباس فرأى فيها جمعاً يتناوبونها للطعام ، فدخل على ابن الزبير فقال له : اصبحت والله كما قال الشاعر :

فإن تصبك من الأيام قارعة
لم نبك منك على دنيا ولا دين

---

(١) صحيح البخاري : ٢٠٥/٥ يربني بنو عمي : يكونوا علي امراء والمراد ببني عمه بنو امية . انظر فتح الباري :٢٢٧/٨ .
(٢) البداية والنهاية : ٣٠٥/٨ ـ ٣٠٦ .

فقال : وما ذاك يا أعرج ؟ فقال : هذان ابنا العباس أحدهما يفقه الناس ، والآخر يطعم الناس . فما أبقيا لك مكرمة . فدعا عبد الله بن مطيع وقال له : انطلق الى ابني العباس ، فقل لهما : يقول لكما أمير المؤمنين : اخرجا عني أنتما ومن انضوى إليكما من أهل العراق ، وإلاّ فعلت وفعلت ، فقال عبد الله : والله ما يأتينا من الناس إلا رجلان : رجل يطلب فقهاً ، ورجل يطلب فضلاً . فأي هذين تمنع ؟ (١) .

وفي البداية والنهاية أيضاً : قال الواقدي : لما أراد ابن الزبير هدم البيت شاور الناس في هدمها ، فأشار عليه جابر بن عبد الله وعبيد بن عمير بذلك ، وقال ابن عباس : أخشى أن يأتي بعدك من يهدمها ، فلا تزال تهدم حتى يتهاون الناس بحرمتها ، ولكن أرى أن تصلح ما يتهدم من بنيانها (٢) .

ومما مرّ يتبين أن ابن عباس لم يكن بمنأى عن الحياة السياسية ، بل كان خائضاً غمارها ومشاركا فيها ، ولقد كان له دخل كبير في توجيه دفة السياسة من بعيد أو قريب كما لاحظت من سرد هذه المواقف .

---

(١) نكت الهميان : ١٨١ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٥١/٨ . ولقد كانت رغبة ابن الزبير في هدم الكعبة ليعيد بناءها على قواعد إبراهيم ويدخل فيها الحجْر لأنه من الكعبة ، ولكن قريشاً لم تدخل الحجر حينما بنت الكعبة قبل الإسلام لأن النفقة الحلال قد قصرت بهم ،ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة : «لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه » فأراد ابن الزبير ان يحقق ذلك بعد أن انتشر الإسلام في العرب وبعدوا عن الشرك وعادات الجاهلية . انظر صحيح البخاري : ١٥٦/٢ . وصحيح مسلم : ٩٧/٤ فما بعدها .

الفصل الرّابع

من أخبار ابن عبّاس

في حياة ابن عباس نواح متفرقة ومتعددة لا تدخل في إطـار خاص ، ولما في هذه الأشياء المتفرقة من فوائد أحببنا ان نفرد لها قسماً خاصاً في هذا الكتاب ليتكامل الحديث عن هذه الشخصية المسلمة الفذة ، وإليك هذه الجوانب .

تسليته لعائشة وثناؤه عليها عند احتضارها :

عن القاسم بن محمـد أن عائشة اشتكت فجـاء ابن عباس يزورها ، فقال : يا أم المؤمنين تقدمين على فَرَط صدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر(١) .

وعن ابن أبي مليكة قال : استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة . قالت : أخشى ان يثني علي . فقيل : ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن وجوه المسلمين ، قالت : ائذنوا له . فقال : كيف تجدينكِ ؟ قالت : بخير إن اتقيت الله . قال : فأنت بخير إن شاء الله : زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكح

---

(١) البخاري : ٤/٢٢٠ . الفرط : من يتقدم الناس ويسبقهم ليرتاد لهم الماء .

بكراً غيرك ، ونزل عذرك من السماء . ودخل ابن الزبير خلافه فقالت : دخل ابن عباس فأثنى عليّ ، وددت أني كنت نسياً منسياً (١) .

ابن عباس يحكي لنا أخباراً تتعلق بعمر رضي الله عنهما :

سبق أن ذكرنا مقدار صلة ابن عباس رضي الله عنه بعمر وتكريم عمر له ، فكان من البدهي أن يحمل لنا ابن عباس الكثير مما كان يجري في مجلس عمر والكثير من صفاته وأقواله ومواقفه وفيما يلي نسرد لك بعضاً من ذلك .

● عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس ، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر ، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً . فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن اخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ، قال : سأستأذن لك عليه . قال ابن عباس : فاستأذن الحرّ لعيينة فأذن له عمر ، فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتى هم به . فقال له الحرّ : يا أمير المؤمنين ، إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وإن هذا من الجاهلين. قال : والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه ، وكان وقافاً عند كتاب الله (٢) .

---

(١) البخاري : ٦/١٠ . مغلوبة : من شدة كرب الموت .نسياً منسياً : النسي بالكسر ما نسي وقيل هو التافه الحقير ، كذا في المصباح وقراءتنا بالفتح .

(٢) البخاري : ٥/١٩٨ . قوله هي : بكسر الهاء وسكون الياء كلمة تهديد ، وقيل : هي ضمير وهناك محذوف أي : هي داهية . الجزل : العطاء الكثير .

● وعن ابن عباس قال : خطب عمر رضي الله عنه ، فذكر الرجم فقال : لا تخدعنّ عنه ، فإنه حدٌّ من حدود الله ، ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده ، ولولا أن يقول قائلون : زاد عمر في كتاب الله ما ليس منه ، لكتبت في ناحية المصحف : شهد عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وفلان وفلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ورجمنا بعده، الا وإنه سيكون بعدكم قوم يكذبون بالرجم، وبالدجال، وبالشفاعة، وبعذاب القبر ، وبقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا(١).

● وعن ابن عباس رضي‌الله عنهما قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس بالجابية وقال : ياأيها الناس ، من أراد أن يسأل عن القرآن فليأتِ أبي بن كعب رضي الله عنه ، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت رضي الله عنه ، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل رضي‌الله عنه، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني ، فإن الله جعلني له والياً وقاسماً(٢) .

● هذا وقد روى لنا ابن عباس رضي الله عنه خطبة لعمر خطب بها قبيل طعنه ووفاته منصرفه من الحج ؛ ذكر فيها أن الرجم في كتاب الله حق، وكيف تمت البيعة لأبي‌بكر رضي‌الله‌عنه في سقيفة

---

(١) حياة الصحابة : ٢٦٩/٤ . امتحشوا : احترقوا ، وهم عصاة المؤمنين يخرجون من النار بعد أن يمسهم العذاب .

(٢) حياة الصحابة : ٧٠٤/٣ هذا وقد روى خطبته في الجابية جمع كثير من الصحابة. ارجع الى حياة الصحابة ٢٥٣/٤ فمابعدها.

بنـي ساعـدة ، وهي خطبـة طويلـة قيمـة ذكرها البخـاري في صحيحه(١) . ويجدر بكل مسلم أن يرجع إليها .

ولما لعمر رضي الله عنـه في نفس ابن عباس مـن التقـدير والإعجاب قال فيه : اكثروا ذكر عمر رضي الله عنه ، فإن عمر إذا ذكـر ذكر العدل وإذا ذكر العدل ذكر الله (٢) .

زيارة علي رضي الله عنه لابن عباس ورسالته إليه :

يروى عن علي بن أبي طالب رحمة الله عليه أنه افتقد عبد الله ابن العباس رحمه الله فقال : ما بال أبي العباس لم يحضر ؟ فقالوا ولد له مولود ، فلما صلى علي رحمه الله قال: امضوا بنا إليه، فأتاه فهنأه فقال: شكرت الواهب، وبورك لك في الموهوب، ماسميته؟ قال: أوَيجوز لي أن أسميه حتى تسميه، فأمر به فأخرج إليه فأخذه وحنكه ودعا له ثم ردّه إليه وقال : قد سميته علياً وكنيته أبا الحسن(٣) .

عن العكلي عن أبيه قال : بلغني عن ابن عباس انه قال : كتب إليّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بموعظـة ما سررت بموعظـة سروري بها : أما بعد فإن المرء يسرّه درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ، فما نالك من دنياك فلا تكثر به فرحاً ، وما فاتك منها فلا تتبعه أسفاً ، فليكن سرورك بما قدمت ، وأسفك على ما خلفت ، وهمك فيما بعد الموت(٤) .

---

(١) البخاري : ٢٥/٨ ــ ٢٩ .
(٢) حياة الصحابة : ٧٥/٤ .
(٣) الكامل للمبرد بشرح المرصفي : ١٩٦/٥ .
(٤) الأمالي للقالي : ٢٢/١ .

ثناؤه على معاوية بالعلم ، وإكرام معاوية له :

عن كريب مولى ابن عباس رضي الله عنه : أنـه رأى معاوية صلى العشاء ثم أوتر بركعة واحدة لم يـزد . فأخبر ابن عباس فقال : أصاب اي بني ، ليس أحد منا أعلم من معاوية ، هي واحدة أو خمس أو سبع أو أكثر(١) .

وعن قتادة : قال معاوية : واعجباً للحسن شرب شربة من عسل بماء رومة فقضى نحبه ، ثم قال لابن عباس : لا يسوءك الله ولا يحزنك في الحسن . قال : أما ما أبقى الله لي أمير المؤمنين فلن يسوءني ولن يحزنني . قـال : فأعطاه ألف ألف من بين عروض وعين . قال : أقسمه في أهلك(٢) .

إكرام ابن عباس لزيد بن ثابت لعلمه وتأبينه له :

● عن عمار بن أبي عمار : أن زيـد بن ثابت رضي الله عنـه ركب يوماً ، فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه ، فقال : تنحَّ يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا وكبرائنا ، فقال زيد : أرني يدك ، فأخرج يده ، فقبلها . فقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا(٣) .

● وعن عمار بن أبي عمار قال : لما مات زيد بن ثابت قعدنـا إلى ابن عباس في ظل القصر ، فقال : هكذا ذهاب العلم ، لقد دفن اليوم علم كثير . وقال أيضاً : هكذا يذهب العلم ـ وأشـار بيده

---

(١) سير النبلاء للذهبي : ١٠٠/٣ وانظر البخاري : ٢١٩/٤.

(٢) سير النبلاء : ١٠٣/٣ .

(٣) حياة الصحابة : ٣/٣ .

إلى قبره ـ يموت الرجل الذي يعلم الشيء لا يعلمه غيره ، فيذهب ما كان معه ، وقال : هل تدرون ما ذهاب العلم ؟ هو ذهاب العلماء من الأرض(١) .

حضوره احتضار عمرو بن العاص ووفاته :

قال ابن عباس : دخلت على عمرو بن العاص وقد احتضر ، فدخل عليه عبدالله بن عمرو فقال له : ياعبدالله خذ ذلك الصندوق، فقال : لا حاجة لي فيه . قال : إنه مملوء مالاً . قال : لا حاجة لي به . فقال عمرو : ليته مملوء بعراً . قال : فقلت يا أبا عبد الله ، إنك كنت تقول : اشتهي أن أرى عاقلاً يموت حتى أسأله كيف تجد؟ فكيف تجدك؟ قال : أجد السماء كأنها مطبقةعلى الأرض وأنا بينهما، وأراني كأنما اتنفس من خرت إبرة ، ثم قال : اللهم خذ مني حتى ترضى ، ثم رفع يديه فقال : اللهم أمرت فعصينا ونهيت فركبنا ، فلا بريء فأعتذر ، ولا قوي فأنتصر ، ولكن لا إله إلا الله (ثلاثاً) ثم فاظ (٢) .

تعليم ابن عباس لدعاء يدعو به عند الدخول على السلطان :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطو عليك فقل : الله اكبر ، الله اكبر ، الله أعز من خلقه جميعاً ، الله أعز مما أخاف وأحذره ، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ، الممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه ،

---

(١) حياة الصحابة : ٨٠٨/٣ . وانظر البيان والتبيين للجاحظ : ٢٥٧/١ .

(٢) المبرد بشرح المرصفي : ١٩٦/٣ . خرت إبرة : ثقبها . فاظ : خرجت روحه .

من شرّ عبدك فلان وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس ، اللهم كن لي جاراً من شرهم ، جلّ ثناؤك وعزّ جارك وتبارك اسمك، ولا إله غيرك . (ثلاث مرات)(١) .

حثه على طلب العلم :

عن عكرمة قال : قال لي ابن عباس ولابنه علي : انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه ، فانطلقا فإذا هو في حائط يصلحه ، فأخذ رداء فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى ذكر بناء المسجد ، فقال : كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول : ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار(٢) .

جوابه لملك الروم :

قال المبرد : حدثني بعض الهاشميين أن ملك الروم وجّه إلى معاوية بقارورة ، فقال : ابعث إلي فيها من كل شيء ، فبعث إلى ابن عباس ، فقال : لتملأ له ماء ، فلما ورد بها على ملك الروم قال : لله أبوه ما أدهاه ، فقيل لابن عباس : كيف اخترت ذلك ؟ فقال : لقول الله عز وجل : « وجعلنا من الماء كل شيء حي »(٣).

ابن عباس والشعر والأدب :

قال المبرد : ويروى أن ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسائله حتى أمله ، فجعل ابن عباس يظهر الضجر ، وطلع عمر بن

---

(١) حياة الصحابة : ١٥٣/١ والحلية : ٣٢٢/١ .

(٢) البخاري : ١١٥/١ .

(٣) شرح الكامل للمرصفي : ٤٢/٥ .

عبد الله بن ابي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام، فسلم وجلس، فقال له ابن عباس : الا تنشدنا شيئاً من شعرك ؟ فانشده :

امن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غدٍ أم رائح فمهجر

حتى اتمها وهي ثمانون بيتاً ، فقال له ابن الأزرق : لله انت يا ابن عباس ، انضرب إليك اكباد الإبل نسألك عن الدين ، فتعرض؟! ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه ؟ ! فقال تا لله ما سمعت سفهاً ، فقال ابن الأزرق : اما انشدك .

رات رجلاً اما إذا الشمس عارضت
فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال : ما هكذا قال ، إنما قال : فيضحى ، وأما العشي فيخصر . قال : اوتحفظ الذي قال؟ قال: والله ماسمعتها إلا ساعتي هذه ، ولو شئت أن اردها لرددتها. قال فأرددها فأنشده إياها(١) .

مؤازرة ابن عباس لأسامة في دعوى له عند معاوية :

قال المبرد : وحدثت أن اسامة بن زيد قاول عمرو بن عثمان في أمر ضيعة يدّعيها كل واحد منهما ، فلجّت بهما الخصومة ، فقال عمرو : يا اسامة ، أتأنف ان تكون مولاي ؟ فقال أسامة : والله ما يسرني بولائي من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبك ، ثم ارتفعا إلى معاوية فلجّا بين يديه في الخصومة ، فتقدم سعيد بن العاص إلى جانب عمرو فجعل يلقنه الحجة ، فتقدم الحسن إلى جانب أسامة يلقنه ، فوثب عتبة بن ابي سفيان فصار مع عمرو ، ووثب الحسين فصار مع أسامة ، فقام عبد الرحمن بن ام الحكم

---

(١) شرح الكامل : ١٦٥/٧ ـ ١٦٦ .

فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بن عباس فجلس مع أسامة ، فقام الوليد بن عقبة فجلس مع عمرو ، فقام عبد الله بن جعفر فجلس مع أسامة ، فقال معاوية: الجليةعندي؛ حضرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقطع هذه الضيعة أسامة . فانصرف الهاشميون وقد قضي لهم(١) .

محاربته الخرافات :

قال عكرمة : كنت عند ابن عباس فمرّ طائر يصيح ، فقال رجل من القوم:خير خير ، فقال ابن عباس : ما عند هذا لا خير ولا شر(٢) .

ما رآه في النوم عند مقتل الحسين :

روى الإمام احمد عن عمار بن أبي عمار عن ابن عباس قال : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام نصف النهار ، أشعث أغبر ، معه قارورة فيها دم ، فقلت بأبي وأمي يارسول الله ما هذا ؟ قال هذا دم الحسين وأصحابه ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم . قال عمار: فأحصينا ذلك اليوم فوجدناه قد قتل في ذلك اليوم .

وروى ابن أبي الدنيا بسنده إلى علي بن زيد بن جدعان قال : استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع : وقال: قتل الحسين والله، فقال له أصحابه : لم يا ابن عباس ؟ فقال : رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال : اتعلم ما صنعت امتي من بعدي ؟ قتلوا الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرفعهما إلى الله . فكتبت ذلك اليوم الذي قال فيه وتلك الساعة ، فما لبثوا إلا أربعة

---

(١) شرح الكامل : ٨/٥ .

(٢) القرطبي :٢٦٦/٧ .

وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة(١) .

إقراؤه القرآن عبد الرحمن بن عوف :

قال ابن عباس : كنت أقرىء رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف(٢) .

تعلمه أبياتاً لصرمة بن قيس في نصرة الأنصار للرسول عليه الصلاة والسلام :

أخرج الحاكم عن يحيى بن سعيد قال : سمعت عجوزاً من الأنصار تقول : رأيت ابن عباس رضي الله عنهما يختلف إلى صِرْمة ابن قيس ، يتعلم منه هذه الأبيات :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة
يذكّر لو ألفى صديقاً مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه
فلم ير من يُؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا واستقرت به النوى
وأصبح مسروراً بطيبة راضيا
وأصبح ما يخشى ظلامة ظالم
بعيد وما يخشى من الناس باغيا
بذلنا له الأموال من حلّ ما لنا
وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
نعادي الذي عادى من الناس كلهم
بحق وإن كان الحبيب المواتيا

---

(١) البداية والنهاية : ٨/٢٠٠ .

(٢) البخاري : ٨/٢٥ .

ونعلـــم أن الله لا شـــيء غـــيره
وأن كتـــاب الله أصبـــح هاديـــا(١)

ابن عباس وسقاية الحاج :

كانت السقاية متوارثة في أجداد الرسول منذ عبد مناف ، ثم ورثها من بعد ابنه هاشم ، فلم يزل هاشم بن عبد مناف يسقي الحاجّ حتى توفي ، فقام بأمر السقاية بعده عبد المطلب ، فلم يزل كذلك حتى حفر زمزم ، فعفت على آبار مكة كلها،وكان منها مشرب الحاج. قال : وكانت لعبد المطلب إبل كثيرة ، فإذا كان الموسم جمعها ثم يسقي لبنها بالعسل ، في حوض من أدم عند زمزم ، ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ، لأن يكسر غلظ مـاء زمزم ، وكانت إذ ذاك غليظة جداً ، وكان الناس آنذاك لهمفيبيوتهم أسقية يسقون فيها الماء من هذه البيار ، ثم ينبذون فيها القبضات من الزبيب والتمر ، لأن يكسر عنهم غلظ آبار مكـة ، وكان المـاء العذب بمكة عزيزاً لا يوجد إلا لإنسانيستعذب له من بير ميمون وهو خارج من مكة . فلبث عبد المطلب يسقي الناس حتى توفي ، فقام بأمر السقاية بعده العباس بن عبد المطلب ، فلم تزل بيده ، وكان للعباس كرم بالطائف ، وكان يحمل زبيبـه إليهـا ، وكـان يداين أهل الطائف ويقتضي منهم الزبيب ، فينبذ ذلك كلـه ويسقيـه الحاج أيام الموسـم حتـى ينقضـي في الجاهليـة وصـدر الاسلام حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، فقبض السقاية من العباس بن عبد المطلب ، والحجابة من عثمان بن طلحة ، فقام العباس بن عبد المطلب فبسط يده وقال : يارسول الله بأبي

---

(١) حياة الصحابة : ٥٦٢/١ .

انت وأمي اجمع لنا الحجابة والسقاية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيكم ما ترزؤون فيه ، ولا ترزؤون منه ، فقام بين عضادتي باب الكعبة فقال : الا إن كل دم أو مال أو مأثرة كانت في الجاهلية فهي تحت قدميّ هاتين ، إلا سقاية الحاج وسدانة الكعبة، فإني قد أمضيتهما لأهلهما ، على ما كانتا عليه في الجاهلية ، فقبضها العباس ، فكانت في يده حتى توفي ، فوليها بعده عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، فكان يفعل فيها كفعله دون بني عبد المطلب ، وكان محمد بن الحنفية قد كلم فيها ابن عباس ، فقال له ابن عباس : مالك ولها ؟ نحن أولى بها في الجاهلية والإسلام ، قد كان أبوك تكلم فيها ، فأقمت البينة طلحة بن عبيد الله ، وعامر بن ربيعة وأزهر ابن عبد عوف ومخرمة بن نوفل أن العباس بن عبد المطلب كان يليها في الجاهلية بعد عبد المطلب ، وجدك أبو طالب في إبله في باديته بعرنة، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها العباس يوم الفتح دون بني عبد المطلب ، فعرف ذلك من حضر ، فكانت بيد عبد الله بن عباس بعد أبيه ، ولا ينازعه فيها منازع ، ولا يتكلم فيها متكلم حتى توفي ، فكانت بيد علي بن عبد الله بن عباس يفعل فيها كفعل ابيه وجده ، يأتيه الزبيب من ماله بالطائف ، وينبذه حتى توفي ، وكانت بيد ولده حتى الآن(١) .

رايه في الصحابة الأربعة الخلفاء :

عن عيسى بن طلحة : قلت لابن عباس : اخبرني عن أبي بكر ، قال : كان خيراً كله على الحدة وشدة الغضب . قلت : اخبرني عن

---

(١) اخبار مكة المشرفة : ١/٧٠ ـ ٧١ .

عمر ، قال : كان كالطائر الحذر قد علم انه قد نصب له في كل وجه حبالة ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه ، على عنف السباق ، قال قلت : أخبرني عن عثمان . قال : كان والله صواماً قواماً لم يخدعه نومه عن يقظته. قال قلت: فصاحبكم ـ يعني علياً ـ قال : كان والله مملوءاً حلماً وعلماً ، غرته سابقته وقرابته ، وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً إلا قدر عليه ، قلت : أكنتم ترونه محدوداً ؟ قال : أنتم تقولون ذاك (١) .

حرصه على كتابة ما يسمع من حكمة :

روى رجل كان يجالس ابن عباس قال : قال عثمان بن أبي العاص الثقفي لبنيه : يا بنيّ إني قد أمجدتكم في أمهاتكم ، وأحسنت في مهنة أموالكم ، وإني ما جلست في ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه ، والناكح مفترس ، فلينظر امرؤ منكم حيث يضع غرسه ، والعرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين . فقال ابن عباس : ياغلام أكتب لنا هذا الحديث(٢) .

مقالة من عمرو بن العاص لابن عباس :

عن إبراهيم بن حويطب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله ابن عباس : إن هذا الأمر الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء ، وقد بلغ الأمر بنا وبكم ما ترى ، وما أبقت لنا هذه

---

(١) البيان والتبيين : ٢٦٦/٣ . والمحدود الذي لا يوفق إلى صواب .

(٢) البيان والتبيين : ٦٦/٧ .

الحرب حباء ولا صبراً ، ولسنا نقول : ليت الحرب عادت ، ولكنا نقول : ليتها لم تكن كانت ، فانظر فيما بقي بغير ما مضى ، فإنك رأس هذا الأمر بعد علي ، وإنما هو أمير مطاع ، ومأمور مطيـع ، ومشاور مأمون ، وأنت هو(١) .

أول من عرّف بالبصرة :

ابن عباس أول من عرّف بالبصرة ، فكان يصعد المنبر ليلة عرفة ، ويجتمع أهل البصرة حوله فيفسر شيئاً من القرآن ، ويذكر الناس من بعد العصر إلى الغروب ثم ينزل فيصلي بهم المغرب ، وقد اختلف العلماء بعده في ذلك ، فمنهم من كره ذلك وقال : هو بدعة لم يعملها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من أصحابه إلا ابن عباس ، ومنهم من استحب ذلك لأجل ذكر الله وموافقـة الحجـاج(٢) .

---

(١) البيان والتبيين : ٢/٢٩٨ .

(٢) البداية والنهاية : ٨/٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

الفصل الخامس

من أقواله وبعض ما قيل فيه

لابن عباس رضي الله عنه أقوال مشهورة وخطب مأثورة ، تنم عن وعي كامل ، وعقل راجح ، وربما كانت هذه الأقوال خلاصة تجاربه في الحياة ، أو نفحة من النفحات اقتبسها من منبع الحكمة عليه الصلاة والسلام ، ولقد حظيت كتب الحديث والأدب بجملة صالحة من أقواله وخطبه .

كما إن هناك أقوالا قيلت في الثناء عليه وامتداحه وبيان فضله وعلو شأنه ونحن فيما يلي ننقل لك جملة صالحة من ذلك .

١ ــ من أقواله

● **لا تزهد في المعروف :** لا يزهدنك في المعروف كفر من كفره، فإنه يشكرك عليه من لم تصطنعه إليه « يريد الله سبحانه[1] » .

● **حق الجليس :** قال ابن عباس : لجليسي عليّ ثلاث : أن ارميه بطرفي إذا أقبل، وأوسع له إذا جلس، وأصغي له إذا حدث[2] .

---

(١) الكامل للمبرد : ١٢٣/٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٢٠٥/٢ .

● **إيناس الداخل** : قال ابن عباس : إن لكل داخل دهشة فآنسوه بالتحية(١) .

● **إيثاره السلامة** : قيل لابن عباس : أيما أحب إليك ؟ رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات،أو رجل يقلّ من الحسنات والسيئات قال : ما أعدل بالسلامة شيئاً(٢) .

● **قل لا أدري** : قال ابن عباس رضي الله عنه : إذا ترك العالم قول لا ادري أصيبت مقاتله(٣) .

● **خذ الأحسن** : قال رضي الله عنه : العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه(٤) .

● **أدب الحديث** : ومن أقواله ووصاياه في أدب الحديث ما رواه عكرمة عنه أنه قال : حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين ، فإن أكثرت فثلاث مرات ، ولا تملّ الناس هذا القرآن ، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ، ولكن انصت ، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه ، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه ، فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب(٥) !

● **قضاء الحاجات** : قال رضي الله عنه : ما رأيت أحداً

---

(١) البيان والتبيين : ٩١/٢ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٧/٣ .

(٣) البيان والتبيين : ٣٩٨/١ . وانظر حياة الصحابة : ٧٢٣/٣ .

(٤) البيان والتبيين : ٤٠٤/١ .

(٥) البخاري : ١٥٣/٧ .

اسعفته في حاجة إلا اضاء ما بيني وبينه ، ولا رايت رجلاً رددته عن حاجة إلا أظلم ما بيني وبينه(١) .

● **اجتنب البغي : قال** ابن عباس : لو ان جبلاً بغى على جبل لدك الباغي ، وقال : ما ظهر البغي في قوم قط إلا ظهر فيهم الموتان(٢) .

● **من هم العلماء الربانيون :** أخرج ابو نعيم في الحلية ، عن وهب بن منبه قال : أخبر ابن عباس رضي الله عنهما أن قوماً عند باب بني سهم يختصمون (أظنه قال : في القدر) فنهض إليهم وأعطى محجنه عكرمة ، ووضع إحدى يديه عليه والاخرى على طاووس ، فلما انتهى إليهم أوسعوا له ورحبوا به فلم يجلس ، فقال لهم : انتسبوا لي أعرفكم ، فانتسبوا له ـ أومن انتسب منهم ـ فقال : أوما علمتم أن لله تعالى عباداً أصمتتهم خشيته من غير بكم ولا عيّ ، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء، العلماء بأيام الله عزّ وجل ، غير انهم إذا تذكروا عظمة الله عز وجل طاشت لذلك عقولهم ، وانكسرت قلوبهم ، وانقطعت ألسنتهم ، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله عزّ وجل بالأعمال الزاكية ، يعدّون أنفسهم مع المفرطين وإنهم لأكياس أقوياء ، ومع الظالمين والخطائين ، وإنهم لأبرار برآء ، إلا أنهم لايستكثرون له الكثير ، ولا يرضون له القليل ، ولا يدلّون عليه بالأعمال ، هم حيثما لقيتهم مهتمون مشفقون ، وجلون خائفون ، قال : وانصرف عنهم فرجع إلى مجلسه(٣) .

---

(١) شرح الكامل للمبرد : ٧٥/٥ .

(٢) الحلية : ٣٢٢/١ . الموتان بضم الميم : الموت الكثير .

(٣) الحلية : ٣٢٥/١ .

● **مكانة حملة العلم عند الله والناس** : عن سفيان بن عيينة قال : بلغنا عن ابن عباس انه قال : لو أن حملة العلم أخذوه بحقه وما ينبغي لأحبهم الله وملائكته والصالحون ، ولهابهم الناس ، ولكن طلبوا به الدنيا فأبغضهم الله وهانوا على الناس(1) .

● **في أداء حق الله وقاية من الوقوع في المكروه** : في الحلية لأبي نعيم : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : عليك بالفرائض ، وما وظّف الله تعالى عليك من حقه ، فأدّه واستعن الله على ذاك ، فإنه لا يعلم من عبد صدق نية وحرصاً فيما عنده من ثوابه إلا اخره عما يكره ، وهو الملك يصنع ما يشاء(2) .

● **اصبر تنل ما قدر لك من الحلال** : وفي الحلية أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما من مؤمن ولا فاجر إلا وقد كتب الله تعالى له رزقه من الحلال ، فان صبر حتى يأتيه آتاه الله تعالى ، وإن جزع فتناول شيئاً من الحرام نقصه الله من رزقه الحلال(3) .

● **الاحتراز من القول بالرأي** : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ، فمن قال بعد ذلك برأيه فما أدري أفي حسناته يجد ذلك أم في سيئاته(4) .

● **وصفه نفسه بثلاث خصال** : عن عبد الله بن بريدة قال : شتم رجل ابن عباس فقال : إنك لتشتمني وفيّ ثلاث : إني لأسمع

---

(1) حياة الصحابة : ٨٠٣/٣ .

(2) الحلية : ٣٢٦/١ .

(3) المصدر السابق .

(4) حياة الصحابة : ٧٨٠/٣ .

بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ، ولعلي لا أقاضي إليه أبداً ، وإني لأسمع بالغيث يصيب البلاد من بلدان المسلمين فأفرح به ، وما لي بها سائمة ولا راغية ، وإني لآتي على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم(١) .

● **ذهب الناس** : قال ابن عباس: ذهب الناس وبقي النسناس. قيل : ما النسناس ؟ قال : الذين يشبهون الناس وليسوا بالناس(٢) .

● **أنا على ملة رسول الله** : عن ابن عباس : قال لي معاوية : أنت على ملة عليّ ؟ قلت : ولا على ملة عثمان ، أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) .

● **أحب أن يرفع عملي وأنا صائم** : عن سعد بن أبي سعيد قال : كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال : يا ابن عباس كيف صومك ؟ قال : أصوم الإثنين والخميس ، قال : ولم ؟ قال : لأن الأعمال ترفع فيهما فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم(٤) .

● **كونوا ربانيين** : قال ابن عباس : كونوا ربانيين حلماء فقهاء علماء . ويقال : الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره(٥) .

---

(١) الإصابة : ٤/٩٤ و الحلية : ١/٣٢٢ .

(٢) سير النبلاء : ٣/٢٣٠ والحلية : ١/٣٢٨ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) البخاري : ١/٢٥ .

● **اتبـاع الهوى : قال ابن عباس** : الهوى إلـه معبود . وتلا قول الله عز وجل : « أفرأيت من اتخذ إلـهه هواه وأضله الله على علم (١) » .

● **امتناعه عن إعطاء الشعراء** : لما مـدح عتبة بن مرداس عبد الله بن عباس قال : لا أعطي من يعصي الرحمن ويطيع الشيطان ويقول البهتان(٢) .

● **إنزالـه الناس منازلهم** : عن ميمون بن مهـران قـال : سمعت ابن عباس يقول : ما بلغني عن أخ مـكروه قط إلا أنزلته إحدى ثـلاث منازل : إن كان فوقي عرفت له قدره ، وإن كـان نظيري تفضلت عليه ، وإن كان دوني لم أحفل بـه . هذه سيرتي في نفسي ، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة .

● **قراءة القرآن مع التفكر** : وعن ابن عباس قال : لأن أقرأ البقرة في ليلة واتفكر فيها أحب اليّ من أن أقرأ القرآن هَذْرمة .

● **القُربة في نظر ابن عباس** : عن ابن عباس قال : لأن أعـول أهل بيت من المسلمين شهراً أو جمعة أو ما شاء الله أحبّ اليّ من حجة بعد حجة ، ولطبق بدائق أهديه إلى أخ لي في الله أحب اليّ من دينار أنفقه في سبيل الله عز وجل(٣) .

● **وصفه الدينار والدرهم على لسان إبليس** : وعن ابن عباس قال: لما ضرب الدينار أخذه إبليس فوضعه على عينيه وقال : أنت

---

(١) البيان والتبيين : ١/٢٣٥ .

(٢) البيان والتبين : ١/٢٨٤ .

(٣) صفة الصفوة : ١/٧٥٤ ــ ٧٥٦ . والحلية : ١/٣٢٨ .

ثمرة قلبي وقرّة عيني ، بك اطغي ، وبك اكفر ، وبك ادخل الناس النار ، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدك(۱) .

وعن ابن عباس قال : آخر شدة يلقاها المؤمن الموت .

وعنه قال : خذ الحكمة ممن سمعت ، فإن الرجل ليتكلم بالحكمة وليس بحكيم ، فتكون كالرمية خرجت من غير رام(۲) .

● **ذهاب العقل** : عن مجاهد عن عبد الله رضي الله عنه قال : يأتي على الناس زمان يعرج فيه بعقول الناس حتى لا تجد فيه أحداً ذا عقل(۳) .

● **ماهو أعظم من الذنب** : عن الضحاك عن ابن عباس قال : يا صاحب الذنب لا تأمننّ من سوء عاقبته ، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته ، فإن قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وانت على الذنب أعظم من الذنب الذي عملته ، وضحكك وانت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب ، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب ، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب إذا ظفرت به ، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته (٤) .

● **لا تجب من يسأل عما لا يعنيه** : قال عكرمة : قال لي ابن

---

(١) صفة الصفوة : ٧٥٧/١ والحلية ٣٢٨/١ .

(٢) الحلية : ٣٢٨/١ .

(٣) صفة الصفوة : ٧٥٧/١ .

(٤) الحلية : ٣٢٤/١ .

عباس : انطلق فأفت الناس فأنا لك عون ، قال: قلت : لو أن هذا الناس مثلهم بيّن لأفتيتهم ، قال: انطلق فأفت الناس ، فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته ، ومن سألك عما لا يعنيه فلا تفته ، فإنك تطرح عنك ثلثي مؤونة الناس(١) .

● **إذا جاء القدر لم ينفع الحذر** : قيل لابن عباس : كيف تزعمون أن سليمان بن داود عليهما السلام كان إذا صار في البراري ، حيث لا ماء ولا شجر ، فاحتاج إلى الماء ، دلّه على مكانه الهدهد ،ونحن نغطي له الفخ بالتراب الرقيق ، ونبرز له الطعم ، فيقع فيه جهلاً بما تحت ذلك التراب ، وهو يدل على الماء في قعر الأرض الذي لا يوصل إليه إلاّ بأن يحفر عليه القيّم الكيّس ؟ . قال : فقال ابن عباس رضي الله عنهما : إذا جاء القدر لم ينفع الحذر(٢) .

● **ارفقوا بزوج رسول الله** : قال عطاء : حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة بسرف ، فقال ابن عباس : هذه زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها ، وارفقوا ، فإنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم تسع ، كان يقسم لثمان ولا يقسم لواحدة(٣) .

● **إن خير هذه الأمة أكثرها نساء** : عن سعيد بن جبير

---

(١) معجم الأدباء : ١٨٣/١٢ .

(٢) الحيوان للجاحظ : ٣٠٩/٦ ـ ٣١٠ وانظر المصدر نفسه : ٥١٣/٣ وانظر شرح الكامل : ١٦١/٧ .

(٣) البخاري : ١١٧/٦ .

قال : قال لي ابن عباس : هل تزوجت ؟ قلت : لا ، قال : فتزوج ، فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء(١) . والمراد بخير هذه الأمة النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم .

● **دعاؤه إذا شمت** : عن أبي جمرة قال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول إذا شمت : عافانا الله وإياكم من النار ، يرحمكم الله(٢) .

● **ترغيبه في العلم** : عن علي الأزدي قال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن الجهاد فقال : ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد ؟ تجيء مسجداً فتعلم فيه القرآن والفقه في الدين (أو قال : السنة) .

وعن علي الأزدي قال : سألت ابن عباس عن الجهاد فقال : ألا أدلك على ما هو خير لك من الجهاد ؟ تبني مسجداً تعلم فيه القرآن وسنن النبي صلى الله عليه وسلم والفقه في الدين(٣) .

● **من ادعيته** : عن سعيد بن جبير كان عبد الله بن عباس يقول: اللهم إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض أن تجعلني في حرزك وحفظك وجوارك وتحت كنفك .

وعن سعيد قال: كان ابن عباس يقول : اللهم قنعني(٤) وبارك لي فيه ، واخلف على كل غائبة بخير .

---

(١) البخاري : ٦/١١٨ .

(٢) حياة الصحابة : ٣/٨٤ .

(٣) حياة الصحابة : ٣/٦٤٢ .

(٤) أي بما رزقتني .

وعن طاووس قال : سمعت ابن عباس يقول : **اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى ، وارفع درجته العليا ، وأعطه سؤله في الآخرة والأولى ، كما آتيت إبراهيم وموسى عليهما السلام**(١) .

● **قوله في فضل بعض الأذكار** : في الحلية عن ابن عباس قال : من قال بسم الله فقد ذكر الله ، ومن قال الحمد لله فقد شكر الله ، ومن قال الله أكبر فقد عظم الله ، ومن قال لا إله إلا الله فقد وحد الله ، ومن قال لا حول ولا قوة إلا بالله فقد أسلم واستسلم وكان له بها كنز في الجنة(٢) .

● **من خلال الجاهلية** : عن عبيد الله سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلال من خلال الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والنياحة ، ونسي الثالثة ، قال سفيان : ويقولون : إنها الاستسقاء بالأنواء(٣) .

● **زجره للسانه عن الاسترسال في الكلام** : في الحلية لأبي نعيم عن سعيد الجريري عن رجل قال : رأيت ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخذ بثمرة لسانه وهو يقول : ويحك قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم . فقال له رجل : يا ابن عباس ، ما لي أراك آخذاً بثمرة لسانك تقول كذا ؟! قال : إنه بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحنق منه على لسانه(٤) .

---

(١) حياة الصحابة : ٤/١٧١ .

(٢) الحلية : ١/٣٢٢ .

(٣) البخاري : ٤/٢٣٨ .

(٤) الحلية : ١/٣٢٨ وحياة الصحابة : ٣/٢٧٢ .

٢ ـ بعض ما قيل فيه :

إن كنا نريد أن نذكر بعض ما قيل فيه فإنما يكون ذلك من قبيل إتمام البحث ، وإلا فقد أصبح ابن عباس رضي الله عنه غنياً عن المديح بعد أن أطبق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على احترامه وتعظيمه والرجوع إليه عند كل مشكلة .

هذا ولقد مرّ بك عند الحديث عن علمه وفقهه بعض من الثناء عليه ، ونذكر لك فيما يلي بعضاً من أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم فيه :

أقوال الصحابة :

● **ثناء عمر بن الخطاب عليه** : ثبت عن عمر بن الخطاب أنه كان يجلس ابن عباس مع مشايخ الصحابة ويقول : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . وقال له يوماً : اشهد انك تنطق عن بيت نبوة(١) .

وقال عمر لابن عباس : لقد علمت علماً ما علمناه ، وقال له أيضاً :إنك لأصبح فتياننا وجهاً وأحسنهم عقلاً وافقههم في كتاب الله(٢) . وقال عمر : لا يلومني أحد على حب ابن عباس(٣) .

● **ثناء طلحة بن عبيد الله عليه** : قال طلحة : لقد أعطي ابن عباس فهماً ولقناً وعلماً ، ما كنت أرى عمر يقدم عليه أحداً (٤) .

---

(١) حياة الصحابة : ٧٩٦/٣ .

(٢) البداية والنهاية : ٢٩٩/٨ .

(٣) سير النبلاء : ٢٣٢/٣ .

(٤) سير النبلاء : ٢٣٢/٣ . اللقن : سرعة الفهم .

● **ثناء عبد الله بن مسعود عليه** : قال : لو أدرك ابن عباس أسناننا فاعشَّره أحد منا . وقال أيضاً : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . وقال أيضاً : لو أن هذا الغلام ادرك ما أدركنا ما تعلقنا معه بشيء (١) .

● **ثناء عائشة عليه** : قالت عائشة : هو أعلم الناس بالحج(٢) .

● **ثناء أبي هريرة عليه** : لما مات زيد بن ثابت الأنصاري قال أبو هريرة : مات حبر هذه الأمة ولعل الله ان يجعل في ابن عباس خلفاً (٣) .

● **ثناء أبي بن كعب عليه** : عن محمد بن أبي بن كعب سمع أباه يقول : ــ وكان عنده ابن عباس فقام ــ فقال : هذا يكون حبر هذه الأمة ، أرى عقلاً وفهماً ، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفقهه في الدين(٤) .

● **ثناء عبد الله بن عمر عليه** : سئل ابن عمر عن شيء فقال للسائل : سل ابن عباس ، فإنه أعلم من بقي بما أنزل الله على محمد . وعن عبد الله بن دينار أن رجلاً سأل ابن عمر عن قوله تعالى : « كانتا رتقا ففتقناهما » فقال : اذهب إلى ذلك الشيخ فسله ثم تعال فأخبرني ، فذهب إلى ابن عباس فسأله فقال :

---

(١) سير النبلاء : ٣/٢٣٣ .
(٢) الاصابة : ٤/٩٣ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) سير النبلاء : ٣/٢٣٣ .

كانت السموات رتقـاء لا تمطر ، والأرض رتقـاء لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهـذه بالنبات . فرجع الرجل فأخبر ابن عمر فقال : لقد أوتي ابن عباس علماً صدقاً . هكذا لقد كنت أقول : ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن ، فالآن قد علمت انه قـد أوتي علمـاً(١) .

● **ثناء أبي بكرة عليه :** قال : أبو بكرة : قدم علينا ابن عباس البصرة ، وما في العرب مثله حشماً وعلماً وثيـاباً وجمالاً وكمالا .

● **ثنـاء حسان بن ثابت عليه :** قال حسان : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الأمراء حاجة، فطلبناها إليه بجماعة من الصحابة منهم ابن عباس ، وكانت حاجة صعبة شديدة ، فاعتـل علينا ، فراجعوه إلى أن عذروه ، وقاموا إلا ابن عباس فلم يزل يراجعـه بكلام جامع حتى سدّ عليه كل حاجة ، فلم ير بدّاً مـن أن يقضي حاجتنا ، فخرجنا من عنده وأنا آخـذ بيد ابن عباس فمررنا عـلى أولئك الذين عذروا وضعفوا فقلت : كان عبد الله أولاكـم بهم ، قال : أجـل . فقلت أمدحه :

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه ... رأيت له في كـل أقواله فضلا
إذا قال لم يترك مقـالاً لقائل ... بمنتظمات لا تـرى بينها فصلا
كفى وشفى ما في الصدور ولم يدع ... لذي إربة في القول جداً ولا هزلا
سموت إلى العليا بغير مشقة ... فنلت ذراهـا لا دنياً ولا وغـلا
خلقت حليفاً للمروءة والنـدى ... بليجاً ولم تخلق كهاماً ولا خبلا(٢)

---

(١) الإصابة : ٩٢/٤ .

(٢) الإصابة : ٩٠/٤ وسير النبلاء : ٢٣٧/٣ .

● **ثناء معـاوية عليه** : عن عكرمة : سمعت معاوية يقول لي: مولاك والله أفقه من مات ومن عاش(١) .

أقوال التابعين وغيرهم :

● **عروة بن الزبير قال** : ما رأيت مثل ابن عباس قط .

● **عطاء بن أبي رباح قال** : ما رأيت قط أكرم من مجلس ابن عباس ، أكثر فقهاً وأعظـم خشية ، إن أصحاب الفقـه عنـده ، وأصحاب القرآن عنده ، وأصحاب الشعر عنده ، يصدرهم كلهـم من وادٍ واسع .

● **طاووس بن كيسان قـال** : رأيت سبعين مـن أصحـاب رسول لله صلى الله عليه وسلم إذا تدارؤوا في أمر صاروا إلى قول ابن عباس . وقال : أدركت خمسين أو سبعين من الصحابة إذا سئلوا عن شيء فخالفوا ابن عباس لا يقومون حتى يقولوا هو كمـا قلت ، أو صدقت . وقال : ما رأيت أورع من ابن عمر ، ولا أعلم من ابن عباس . وقال : كان ابن عباس قد بَسَق على الناس في العلم كما بَسَق النخلة السحوق على الودي الصغـار . وقـال : ما رأيت أحـداً أشد تعظيماً لحرمات الله عز وجل من ابن عباس، والله لو أشاء ـ إذا ذكرته ـ أن أبكي لبكيت .

● **مجاهد بن جبير قال** : ما رأيت أحداً قط مثل ابن عباس ، ولقدمات يومات وإنه لحبر هذه الأمة. وقال : كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه . وقال : ما سمعت فتيا أحسن مـن فتيا ابن عباس . إلا أن يقول قائل : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سير النبلاء : ٣/٢٣٣ .

● **عبيد الله بن عبد الله قال** : كان ابن عباس قد فاق الناس بخصال : بعلم ما سبق ، وفقه ما احتيج إليه من رأيه ، وحلم، ونسب ، ونائل ، وما رأيت أحداً أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أعلم بما مضى ، ولا اثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كنا نحضر عنده فيحدثنا العشية كلها في المغازي ، والعشية كلها في النسب ، والعشية كلها في الشعر .

● **مسروق بن الأجدع قال** : كنت إذا رايت ابن عباس قلت : اجمل الناس . فإذا نطق قلت : أفصح الناس ، فإذا تحدث قلت : أعلم الناس .

● **أبو وائل قال** : خطبنا ابن عباس وهو أمير على الموسم فافتتح بسورة النور ، فجعل يقرأ ويفسر ، فجعلت اقول : ما رايت ولا سمعت كلام رجل مثل هذا ، لو سمعته فارس والروم والترك لأسلمت . وقال : قال رجل : إني لأشتهي ان أقبل رأسه. يعني من حلاوة كلامه .

● **سعيد بن جبير قال** : كنت أسمع الحديث من ابن عباس، فلو يأذن لي لقبلت رأسه .

● **يزيد بن الأصم قال** : خرج معاوية حاجاً مع ابن عباس، فكان لمعاوية موكب ، ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم .

● **سفيان بن عيينة قال** : لم يدرك مثل ابن عباس في زمانه ، ولا مثل الشعبي في زمانه ، ولا مثل الثوري في زمانه .

● **القاسم بن محمد قال** : ما رايت في مجلس ابن عباس باطلا قط .

الحطيئة جرول بن اوس : نظر الحطيئة الى ابن عباس في مجلس عمر ـ وقد قرع بكلامه ـ فقال : من هذا الذي نزل عن القوم بسنه ، وعلاهم في قوله ؟ قالوا : هذا ابن عباس فانشأ يقول :

إني وجدت بيان المرء نافلة   يهدى له ووجدت السعي كالصمم
المرء يبلى ويبقى الكلم سائرة   وقد يلام الفتى يوماً ولم يلم(١)

● **الحسن البصري قال :** كان ابن عباس من الإسلام بمنزل ، وكان من القرآن بمنزل ، وكان يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسرهما آية آية (٢) .

● **سعيد بن المسيب قال :** ابن عباس أعلم الناس(٣) .

● **وعن هشام بن حسان وغيره .** قال : قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد إن قوماً زعموا أنك تذم ابن عباس ، قالوا : فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال : إن ابن عباس كان من الإسلام بمكان ، إن ابن عباس كان من القرآن بمكان ، وكان والله له لسان سؤول وقلب عقول ، وكان والله مثجاً يسيل عزباً(٤) .

---

(١) هذه الأقوال مأخوذة من الإصابة : ٩٣/٤ ـ ٩٤ وسير أعلام النبلاء : ٢٣٢/٣ ـ ٢٣٦ وصفة الصفوة : ٧٥٣/١ . بسق : ارتفع ذكره دونهم .

(٢) سير النبلاء : ٢٣١/٣ .

(٣) البداية والنهاية : ٣٠١/٨ .

(٤) البيان والتبيين : ٨٥/١ والمثج : الكثير السائل . والعزب ههنا الدوام .

● وقال الحافظ ابو نعيم في الحلية :

ومنهم اللقن المعلم ، والفطن الملهم ، فخر الفخار وبدر الأحبار وقطب الأفلاك وعنصر الأملاك ، البحر الزخار والعين الحزار ، مفسر التنزيل ومبين التأويل ، المتفرس الحساس والوضيء اللباس، مكرم الجلاس ومطعم الأناس ، عبد الله بن عباس رضي الله عنه(١) .

● وقال الذهبي في سير اعلام النبلاء :

عبد الله بن عباس البحر ، حبر الأمة ، وفقيه العصر ، وإمام التفسير . أبو العباس عبد الله ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) .

● وقال ابن كثير في مطلع ترجمة ابن عباس :

هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، أبو العباس الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حبر هذه الأمة ، ومفسر كتاب الله ، وترجمانه ، كان يقال له الحبر والبحر ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كثيراً ، وعن جماعة من الصحابة ، وأخذ عنه خلق من الصحابة ، وأمم من التابعين ،وله مفردات ليست لغيره من الصحابة ، لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله وسعة فضله ونبل أصله ، رضي الله عنه وأرضاه(٣) .

* * *

---

(١) الحلية : ٣١٤/١ .

(٢) سير أعلام النبلاء : ٢٢٤/٣ .

(٣) البداية والنهاية : ٢٩٥/٨ .

خاتمة

في يوم من أيام سنة ثمان وستين للهجرة خبا ضوء هذا الكوكب الساطع الذي كان يشيع في الأمة الإسلامية العلم والمعرفة قرابة ستين سنة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن صعدت روحه إلى بارئها في هذا العام .

نعم مات ابن عباس وغابت شمس علمه عن دنيا الناس ـ والموت سبيل كل حي ـ وانثلم في صرح البناء الإسلامي ثلمة ما كان ليسدها إلا نظير له في علمه وفقهه وفضله وأدبه وكمال عقله .

وصلى عليه ابن عمه محمد بن الحنفية ولما غيب جسده في باطن الأرض قال محمد : اليوم مات رباني هذه الأمة . ودفن في الطائف(١) .

وأخذ الناس يتبارون في تأبينه والثناء عليه ، فقال رافع بن خديج : مات اليوم من كان يحتاج إليه من بين المشرق والمغرب في العلم .

وقال معاوية : مات والله أفقه من مات ومن عاش(٢) .

---

(١) سير النبلاء : ٣/٢٤١ .

(٢) البداية والنهاية : ٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

وقال جابر بن عبد الله ـ وقد صفق بإحدى يديه على الأخرى عندما سمع نبأ موته ـ : مات أعلم الناس وأحلم الناس ، ولقد اصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق(١) .

ورأى الناس بأم اعينهم أن طائراً أبيض لم ير على خلقته يدخل في نعشه ثم لا يخرج منه كما ذكر ذلك سعيد بن جبير .

وبينما كان الناس يدلون ابن عباس في لحده سمعوا بآذانهم تالياً يسمعون صوته ولا يرون شخصه يتلو : « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »(٢) .

والحمد لله أولاً وآخراً

---

(١) حياة الصحابة : ٣/٧٩٨ .

(٢) انظر الإصابة وسير النبلاء وحياة الصحابة والبداية والنهاية والحلية .

تعليق : في كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للقاضي تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي : ص ٧٧ : المسجد الذي فيه قبر ابن عباس أظن أن المستعين العباسي عمره مع ضريح ابن عباس ، واسمه مكتوب في المنبر الذي بهذا المسجد ، واسم الملك المظفر صاحب اليمن مكتوب في القبة التي فيها ضريح ابن عباس بسبب عمارته لها .

فهرس

أعلام المسلمين

سلسلة تراجم إسلامية تجمع بين العلم والفكر والتوجيه، وتتناول أعلام المسلمين في شتى الميادين.

صدر منها:

١ - عبد الله بن المبارك (الإمام القدوة).
تأليف محمد عثمان جمال.

٢ - الإمام الشافعي (فقيه السنة الأكبر).
تأليف عبد الغني الدقر.

٣ - مصعب بن عمير (الداعية المجاهد).
تأليف محمد حسن بريغش.

٤ - عبد الله بن رواحة (أمير شهيد وشاعر على سرير من ذهب).
تأليف د. جميل سلطان.

٥ - أبو حنيفة النعمان (إمام الأئمة الفقهاء).
تأليف وهبي غاوجي الألباني.

٦ - عبد الله بن عمر (الصحابي المؤتسي برسول الله).
تأليف محيي الدين مستو.

٧ ـ أنس بن مالك (الخادم الأمين والمحب العظيم).

تأليف عبد الحميد طهماز.

٨ ـ سعيد بن المسيب (سيد التابعين).

تأليف د. وهبة الزحيلي.

٩ ـ السلطان محمد الفاتح (فاتح القسطنطينية وقاهر الروم).

تأليف د. عبد السلام فهمي.

١٠ ـ الإمام النووي (شيخ الإسلام والمسلمين وعمدة الفقهاء والمحدثين).

تأليف عبد الغني الدقر.

١١ ـ الشيخ محمد الحامد (العلامة المجاهد).

تأليف عبد الحميد طهماز.

١٢ ـ السيدة عائشة (أم المؤمنين وعالمة نساء الإسلام).

تأليف عبد الحميد طهماز.

١٣ ـ الإمام البخاري (سيد الحفاظ والمحدثين).

تأليف د. تقي الدين الندوي المظاهري.

١٤ ـ عبادة بن الصامت (صحابي كبير وفاتح مجاهد).

تأليف د. وهبة الزحيلي.

١٥ ـ عبد الله بن عباس (حبر الأمة وترجمان القرآن).

تأليف د. مصطفى الخن.

١٦ ـ جابر بن عبد الله (صحابي إمام وحافظ فقيه).

تأليف وهبي غاوجي الألباني.

١٧ ـ أحمد بن حنبل (إمام أهل السنة والجماعة).

تأليف عبد الغني الدقر.

١٨ ـ كعب بن مالك (شاعر العقيدة الإسلامية).
تأليف د. سامي مكي العاني.
١٩ ـ أبو داود (الإمام الحافظ الفقيه).
تأليف د. تقي الدين الندوي المظاهري.
٢٠ ـ أسامة بن زيد (حِبُّ رسول الله وابن حِبِّه).
تأليف د. وهبة الزحيلي.
٢١ ـ معاوية بن أبي سفيان (صحابي كبير وملك مجاهد).
تأليف منير الغضبان.
٢٢ ـ عدي بن حاتم الطائي (الجواد ابن الجواد).
تأليف محيي الدين مستو.
٢٣ ـ مالك بن أنس (إمام دار الهجرة).
تأليف عبد الغني الدقر.
٢٤ ـ عبد الله بن مسعود، (عميد حملة القرآن، وكبير فقهاء الإسلام).
تأليف عبد الستار الشيخ.
٢٥ ـ معاذ بن جبل، (إمام العلماء، ومعلم الناس الخير).
تأليف عبد الحميد طهماز.
٢٦ ـ الإمام الجويني (إمام الحرمين).
تأليف د. محمد الزحيلي
٢٧ ـ القاضي البيضاوي (المفسِّر ـ المتكلِّم ـ الفقيه ـ المؤرِّخ ـ الأديب).
تأليف د. محمد الزحيلي.